دهاقنة اليمن

تحقيقات ومطالعات في ملف الإسماعيلية

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دهاقنة اليمن، تحقيقات ومطالعات في ملف الإسماعيلية
عدد الصفحات: (١٦٠) ص
الطبعة الأولى: عمّان ٢٠٠٢
رقم الإيداع: (٢٠٠٢/١/٢٥٤)
رقم الإجازة المتسلسل: ٢٠٠٢/١/١٨٩

دار البشير

هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ - ٠٠٩٦٢٦
فاكس: ٤٦٥٩٨٩٣ - ٠٠٩٦٢٦
ص. ب ٩٢٧٤٨٧
عمّان ١١١٩٠ - الأردن

Email:info@daralbashir.com

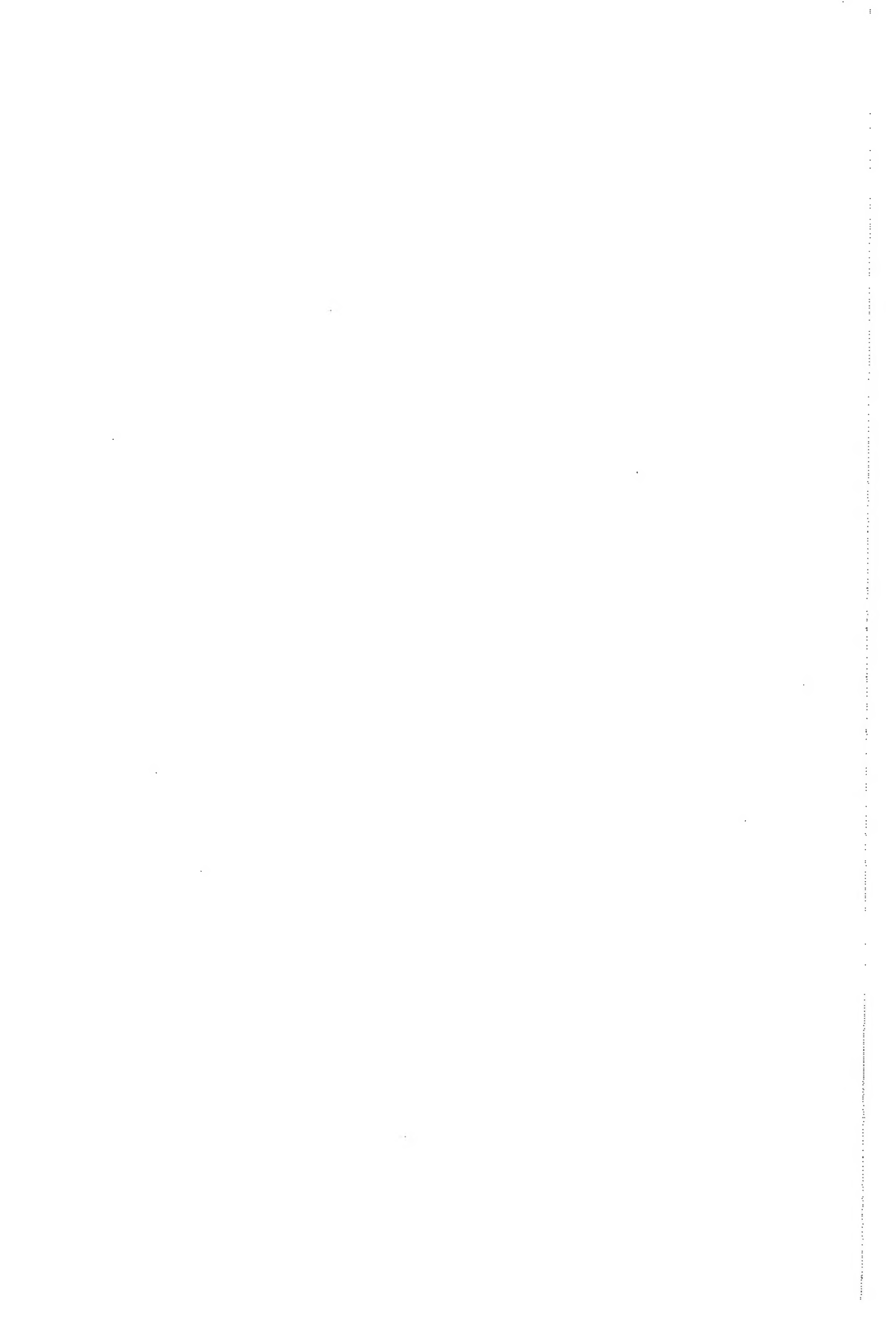
دهاقنة اليمن

تحقيقات ومطالعات في ملف الإسماعيلية

تأليف

أبي عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمـــة

الحمد لله المحمودِ على كُلِّ حال، الذي بحمده يُسْتَفتح كل أمرٍ ذي بال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المُتْعَال، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أَخْلَص الخَلْق عبادة، وأَصْدَقهم فِعلاً وقال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أما بعد..

فقد أوغل كثير من الكُتَّاب والمُصَنِّفين في الكتابة عن الفِرَق والطوائف والجماعات التي تنتمي إلى الإسلام، وأغفل الكثيرون الكتابة عن الفِرق والطوائف التي أشهرت الإسلام تعميةً، واستكنَّت بإظهار شعائره وأركانه.

والفرق الباطنية التي لاحت في التاريخ الإسلامي، تُعدُّ بذرة من البذور التي غرسها الحِقْد اليهوديّ؛ لتنشر الوباء والداء في الأقطار الإسلاميَّة. وكان دثارها وشعارها القول بجحد الشرائع وتعطيل النُّصوص بالتأويلات المزخرفة الكاذِبة، ووصف الله تعالى بأنَّه: لا يُقالُ موجود ولا معدوم، إشارة إلى النَّفي خوفاً من التصريح، والزعم بأنَّ للقرآن ظاهراً

وباطناً، الظاهر للسُذَّج، والباطن لا يطَّلعُ عليه إلا الإمام المعصوم ودُعاتُه!!.

وقد نفذتْ الباطنيَّةُ إلى بعض الديار الإسلامية بألقابٍ برَّاقةٍ، ففي الشام عُرِفوا بـ«العلويين»، وفي العِراق وإيران عُرِفوا بـ«الجعفريَّة»، وفي باكستان والهند واليمن عُرِفوا بـ«البُهَرة»، وفي مِصر والمغرب عُرِفوا بـ«الفاطميين»[1].

وفي جنوب شبه الجزيرة العربية ظهرت الباطنيَّة في اليمن سنة (٢٦٧هـ) في جبال «مسور» و«لاعة» و«حراز» و«عراس» وغيرها[2]، وقد تولَّى كِبْرها ونَفْث سُمَّها: «عليّ بن الفضل الحميري» (٣٠٣هـ)، و«الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي» (٣٠٢هـ)، و«عليّ بن محمد الصُّليحي» (٤٧٣هـ) ـ أخزاهم الله تعالى ـ.

وقد سَفكُوا الدِّماء، وخرَّبوا الديار، وانتهكوا الحُرُمات وعَطَّلوا شعائر الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) ولهم ألقاب عديدة مثل: «الحشَّاشون»، و«القرامِطة»، و«الآغاخانيَّة».
انظر: «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب»: (١/ ٣٨٦ ـ وما بعدها).

(٢) «تاريخ اليمن للواسعي»: (ص/ ١٦٩ ـ وما بعدها).

وباطنيّة اليمن: إسماعيليّة مُسْتعلية، يعترفون بالإمام «المستعلي»[1] ومن بعده «الآمر»[2] ثم ابنه «الطيِّب»، ولذا يُسمَّون بـ«الطيبيَّة»، واشتغلوا بالتجارة في الهند، وعُرِفوا بـ«البُهرة»، وهذا اللَّقب جاء من أصلٍ هندوكيّ، ومعناه: «التاجر» في لُغة أهل «كجرات» بالهند.

● **وقد انقسمت «البُهَرة» إلى فرقتين**:

* **البهرة الداوودية**: نسبة إلى «قطب شاه داوود»، وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري، وداعيتهم يقيم في «بومباي».

* **البهرة السليمانية**: نسبة إلى «سليمان بن حسن»، وهؤلاء مركزهم في اليمن إلى اليوم.

وكانت الإسماعيلية في عِداءٍ عقديّ مع كل الفِرَق الإسلامية لاسيَّما مع «الزيدية»، ولهم معهم حروب طاحنة

---

(١) «أحمد بن معد بن عليّ المستعلي»: (٤٦٧ ـ ٤٩٥هـ): من ملوك الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر. مَلَكَ الصليبيون بيت المقدس في أيامه، وتوفي في القاهرة.

(٢) «منصور بن أحمد بن معد»: (٤٩٠ ـ ٥٢٤هـ): من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر. استولى الصليبيون في أيامه على الساحل الشاميّ. قتلته الباطنية غِيْلةً بين الجزيرة والقاهرة.

وقعت في جهة «طيبة» وبلاد همدان في اليمن نفسه مع الإمام «شرف الدين يحيى المتوكل» (٩٦٥هـ) الذي دمَّر معاقلهم وهَدَم حصونهم، وأجلاهم عن عاصمتهم الروحيَّة بلدة «طيبة»، وشرَّدهم وشتَّت جمعهم، ففرَّ زعيمهم جدّ مكارمة اليمن إلى «الحديدة» ومنها أبحر إلى «القنفذة»، ومن هناك اتَّصل بطائفتهم في جنوب الجزيرة فاستقدموه ونصَّبوه زعيماً روحيًّا عليهم[١].

وأُسرةُ المكارمة في اليمن هم أئمة الإسماعيليين في كل مناطقه، فهم دُعاة هذا المذهب يتوارثونه، ولهم تأثير على المجتمعات السكانية هناك وغالباً يكون تأثيرهم إيجابياً.

ونسب المكارمة ممَّا تنازع فيه النَّاس قديماً، فمن قائل إنَّهم من سُلالة الرسول ﷺ، والأكثرون على أنهم من حمير، والعِلمُ عند الله تعالى.

وقد سكن المكارمةُ في قرىوأودية اليمن، وما زالوا هناك إلى اليوم. لا سيما في «بدر» و«خشيوة»، وفيها مقر الداعية المكرميّ[٢].

وقد استفحل خطر المكارمة الإسماعيلية منذ أوائل القرن

---

(١) «المخلاف السليماني»: (٢/ ١١١٢).

(٢) «بين مكة وحضرموت»: (ص/ ١٠٤، ١١٨، ٢٠٤).

الرابع عشر الهجري، وكاد أُوارها يحرق شبه الجزيرة العربية كلها لولا لُطف الله ورحمته ثم حكمة وُلاة الأمر في ذلك الوقت وفِطْنَتُهم لدسائس الغواة والكائدين.

وقد أورد المؤرِّخ «العُقَيْلي» في تأريخه بعضاً من أخبارهم، ورقم شذراتٍ من تذمرّ الإمام «يحيى بن محمد حميد الدِّين» من دسائسهم ومكائدهم. وإلى الله المشتكى[1].

ولا ريب أنَّ دُعاة المكارمة وأتباعهم يعتقدون ما جاء في مُصنَّفات العقائد الإسماعيلية، ومن أشهرها: «صحيفة الصلوات والأحكام الشرعيَّة والعبادات والأدعية» للداعية الإسماعيلي «سيد نصر الله بن هبة الله» (٣٩٠هـ)، و«سر أسرار النطقاء» للداعية الإسماعيلي «جعفر بن منصور اليمن» (٣٦٩هـ)، و«كنز الولد» للداعية الإسماعيلي «إبراهيم بن الحسين الحامدي» (٥٥٧هـ)، و«تاج العقائد» للداعية الإسماعيلي «علي بن محمد الوليد» (٦١٢هـ)[2].

---

(١) «المخلاف السليماني»: (٢/ ١٠٨١ ـ وما بعدها).

(٢) وقد رقمتُ في آخر الكتاب قائمة بأشهر المؤلَّفات الإسماعيليَّة، فراجعها هناك.

وهذه المصنَّفات الإسماعيلية وغيرها فيها الداء الدفين والسُّم الزُّعاف، فيها القولُ بنفي صفات الله تعالى، وتعطيل الشريعة، والافتراء على رُسل الله عليهم الصلاة والسلام، وسبِّ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، والافتراء على أعلام الأُمَّة ـ رحمهم الله تعالى ـ كما ستراه مُبيَّناً في موضعه من هذا الكتاب ـ إنْ شاء الله تعالى ـ.

ومع تستُّر الباطنيَّة وحرصهم على إخفاء عقائدهم، فقد هيَّأ اللهُ للأُمَّة مَن كان سبباً في فضحِ دعوتهم وكشفِ أسرارهم. **فقد دَخَلَ «محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمَّادي»** (٤٧٠هـ)[1] **في مذهبهم لا معتقداً بل مُخْتبِراً**؛ ليقف على حقيقة ما يُقال عنهم، وكان ذلك في عهد «عليّ بن محمد الصُّليحي» (٤٧٣هـ) الباطنيّ رأس الدولة الصُّليحية في اليمن.

وكان الحماديُّ سُنيًّا، وبعد أنْ عرف الباطنية وخالط أهلها، صنَّف كتابه الشهير «كشف أسرار الباطنية»، وممَّا قال فيه: «أوَّل ما أشهدُ به... وأُوَضِّحه للمسلمين أنَّ له ـ أي للصُّليحي ـ نُوَّاباً يُسمِّيهم الدُّعاة المأذونين، وآخرين يُلقِّبهم

---

(١) انظر ترجمته في: «الأعلام»: (٧/١٦ ـ ١٧)، و«ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية»: (١/٣١٢ ـ ٣١٨)، ومقدمة كتاب «كشف أسرار الباطنية»، و«طبقات فقهاء اليمن للجعدي»: (ص/٧٨).

بـ«المُكلِّبين» تشبيهاً بكِلاب الصَّيد، لأنَّهم يَنْصبُون للنَّاس الحبائلِ، وينقبضون عن كل عاقل، ويُلبِّسون على كل جاهل، بكلمة حقٍّ يُراد بها الباطل... والمرحلة الأُولى يَحُضُّون المدعو على شرائع الإسلام، كالذي ينثر الحَبَّ للطير ليقع في شِركه، فيُقيم أكثر من سنة ينظرون صبره، ويتصفَّحون أمره، ويخدعونه بأحاديث محرَّفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، فإذا رأوا فيه القبول والإعجاب بجميع ما يُعَلِّمونه، قالوا له: الصلاة مَن صلاَّها مرَّة في العام، فقد أقام الصلاة بغير تكرار، والزكاة مفروضة في كل عام مرة... والمرحلة الثانية وفيها يقول الداعي الخبيث للمخدوع، قد عرفت الصلاة، وهي أول درجة، فاسأل وابحث، فيقول: عمَّ أسأل؟ فيقول: اسأل عن الخمر والميسر اللَّذين نهى الله عنهما، هما أبوبكر وعمر، لمخالفتهما علي، وأخذ الخلافة دونه....»!!

ثم أَوْرَدَ ما يفعله الداعي مع المدعو في المرحلتين الرابعة والخامسة، ثم قال:

«هذا ما اطَّلعتُ عليه من كُفرهم وضلالتهم، واللهُ تعالى لهم بالمرصاد، واللهُ تعالى ـ عليَّ شهيد بجميع ما ذكرتُه مما اطلعتُ عليه من فِعلهم وكفرهم وجهلهم... والله أسأل أن

يتوفانا مسلمين، ولا ينزع عنَّا الإسلام بعد إذ آتانا الله بمنِّه ورحمته»[1].

إنَّ واجب المسلمين نحو تلك الطائفة الضالَّة هو: مُناصحتُهم ودعوتُهم برفق وحِكْمَة وعدم إغلاظ القول لهم، لعلَّ الله تعالى يُنوِّر قلوبهم ويُوقظ بصائرهم، وتجب مراعاةُ الأهمِّ فالأهمّ في الدعوة عند ازدحام المصالح والمفاسد. ولابن القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ كلمة بليغة أُوردها بتمامها:

«إذا رأيتَ أهل الفجور والفُسوق يلعبون بالشِّطرنج، كان إنكارُك عليهم من عدم الفِقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم مِنهُ إلى ما هو أحبّ إلى الله ورسوله، كرَمْي النُّشَّاب، وسباق الخيل، ونحو ذلك... وإذا رأيت الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهوٍ أو لعب أو سماع مُكاءٍ وتصديةٍ، فإنْ نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تُفرِّغهم لِمَا هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك.. وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه، يقول: مررتُ أنا وبعضُ أصحابي في زمن التتار بقوم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَن كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلتُ له: إنَّما حرَّم الله الخمر لأنَّها تصدُّ عن ذِكْر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ

---

(١) «كشف أسرار الباطنية»: (ص/١٣ ـ ١٦).

الأموال، فدعهم»[1].

والمأمول من هذا الكتاب أن يسدَّ ثغرةً ويملأَ فراغاً في المكتبة الإسلامية.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلىٰ أن يجعله ذخراً لي في رمسي وحجةً عند ربي عن أبناء جنسي وشاهداً لي حين أُضحي وحين أُمسي.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك[2].

المؤلف

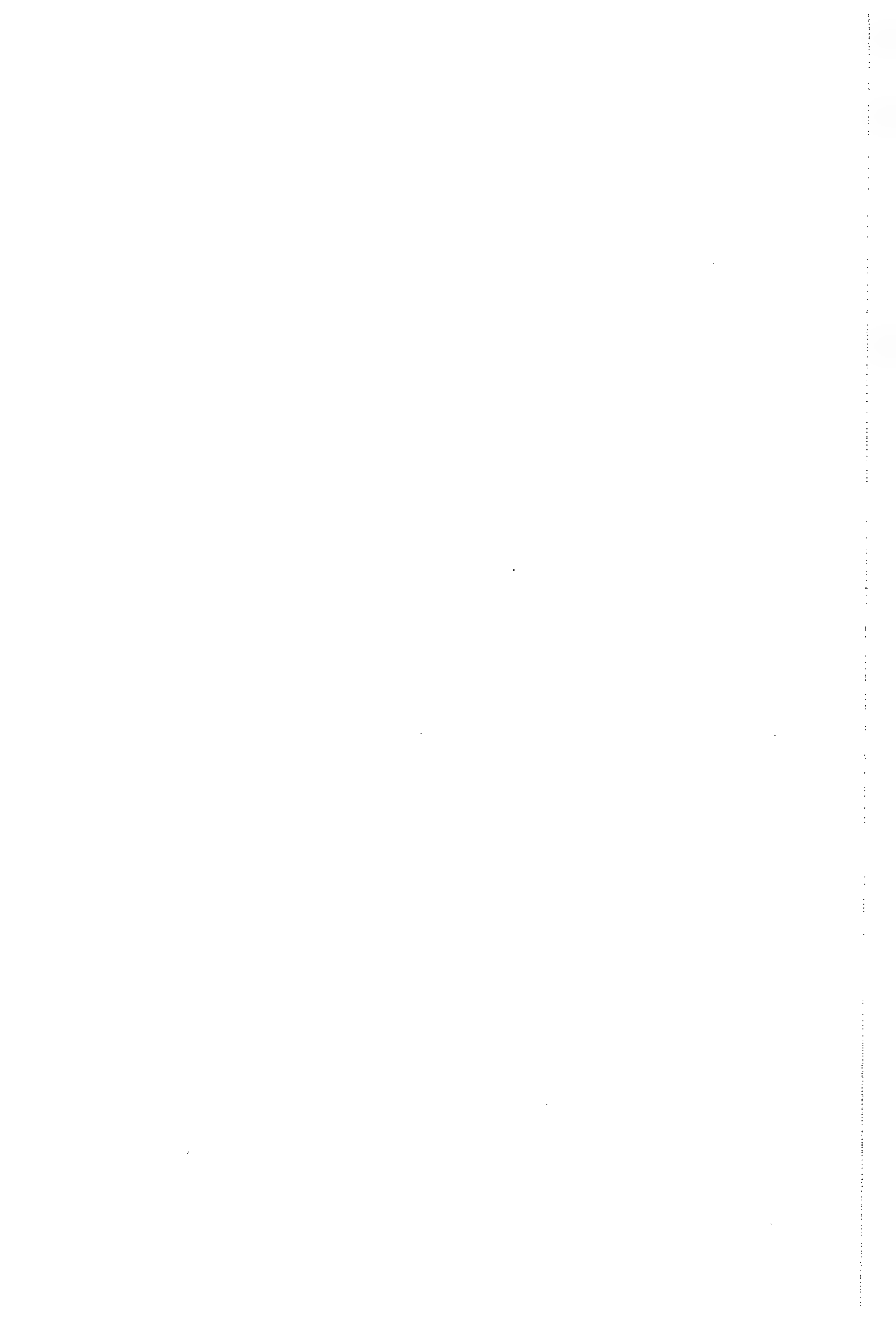
٦ / ٦ / ١٤٢٢هـ

* * *

---

(١) «أعلام الموقعين»: (٣/ ٥).

(٢) الدهاقنة جمع مفردها «دِهقان» ومعناه رئيس الإقليم أو التاجر القويّ، والمعنى مطابق لحال القوم. انظر: «لسان العرب»: (٩/ ١٠٥)، و«المكنز الكبير»: (ص/ ٥١٤).



الفصل الأوَّل

- مَن المكارمة؟
- وما صفاتهم؟
- وكيف تتعرَّف عليهم؟

الفصل الأوّل

مَن المكارمة؟ وما صفاتهم؟ وكيف تتعرّف عليهم؟

المكارمة: مفردها (مكرميّ)، وهم بطن من حِمير، وحِمير: حمير بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان، وكان منه ملوك اليمن من التبابعة[1].

قال ابن خلدون (٨٠٨هـ): «مكرم، بطن كان منه رؤساء عُمان في القرن الخامس الهجريّ»[2].

وللمكارمة ذِكرٌ يمتدُّ في جذور التاريخ، حيث ظهروا في اليمن في مراحلهم الأولى في حدود سنة (٢٦٧ أو ٢٦٨هـ)، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى عند الحديث عن «الأصول التاريخية للمكارِمة».

والمكارمة قد تولَّوا الزعامة الدينيّة في المذهب الإسماعيلي في اليمن من قديم، حيث برزوا عقب سقوط الدولة الصليحية كدُعاة في حال السِّتر، ومن أشهرهم: «إدريس بن الحسن بن

---

(١) «الاشتقاق لابن دريد»: (ص/٣٠٦). و«نهاية الأرب للنويري»: (٢/٢٩٣).

(٢) «العبر وديوان المبتدأ والخبر» : (٤/٩١).

عبدالله بن علي بن محمد المكرميّ» (٨٧٢هـ)[١].

والمكارمة مُنْذُ القِدم يستوطنون بلاد اليمن في جنوب الجزيرة العربية، ولهم فيها أوقاف وأملاك ودعاة وبيوت للمال ومدارس خاصة لنشر مذهبهم الإسماعيلي.

ومما يجب فهمه هنا أنَّ المكارمة قبيلة يعود أصلها إلى حمير كما قدَّمنا، وجُلُّهم إسماعيلية، وقد يُطلَق لقب (مكرميّ) على غيرهم من القبائل المجاورة؛ لدخولهم في المذهب الإسماعيلي واعتقاده.

والمكارمة لهم صفات يتميَّزون بها عن غيرهم، أكثرها مُستمدّ من كُتُبهم السريَّة التي يأتمرون بأمرها على لسان دُعاتهم وشيوخهم، **فالواحد منهم يلبس الثوب الأبيض والإزار الأبيض مع العمامة البيضاء التي تُوضع على الرأس على شكل لُفافة، ويتميَّز ثوب أحدهم، أو إزاره بالإسبال تحت الكعبين، ويرون أنَّ هذا هو السُنَّة. والمتديِّن منهم يُعفي لحيته ويحلقها من ناحية الوجنتين.** وعند أداء العبادات يُخرِجون ما في جيوبهم من أوراق ومفاتيح ونحوها، لنصّ المذهب عندهم

---

(١) وهو مؤرخ يمانيّ، من المُتعصِّبين للمذهب الإسماعيليّ، وله كُتب كثيرة من أشهرها: «نزهة الأفكار وروضة الأخبار، في ذكر مَن قام باليمن من الملوك الكبار والدُعاة الأخيار».
انظر ترجمته في: «أعلام الإسماعيلية»: (١٣٧ ـ ٣٩). و«الأعلام»: (١/ ٢٧٩).

على ذلك. وعند الشروع في الصلاة يتلفظون بالنيَّة ويدعون بالدعاء الوارد عندهم، ولا يجعلون أيديهم على صدورهم بل يُسبلونها. ومن عادتهم وعبادتهم الجمع بين صلاة الظهر والعصر جمع تقديم، وكذلك المغرب والعِشاء جمع تقديم. والسبب في ذلك عندهم أنَّ الصلاة الأولىٰ مثل دعوة محمد ﷺ، والثانية مثل دعوة محمد بن إسماعيل، وهو ـ عندهم ـ من أبناء سُلالة محمد ﷺ، ودورهما واحد عندهم[1]. وبعد قراءة الفاتحة لا يقولون (آمين)، سواء صلَّى أحدهم منفرداً أو صلَّوا جماعة. ولكل واحدٍ منهم سجادة خاصَّة يصلي عليها، ولا يُوجد في مساجدهم فُرُش، وأغلب مساجدهم يبنونها بجوار مزارعهم[2].

---

(١) «محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق»: (١٣١ ـ ١٩٨هـ): إمام عند القرامطة، يرى الإسماعيليون أنّه قام بالإمامة بعد وفاة أبيه أو اختفائه! (سنة ١٣٨هـ)، وهو معدود عندهم من أُولي العزم السبعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومحمد بن إسماعيل. ويقول الإسماعيليون إنه رفع التكاليف الظاهرية للشريعة! انظر: «كشف أسرار الباطنية» (ص/١٩)، و«الأعلام»: (٦/ ٣٤).

(٢) ينظر للفائدة: «كتاب صحيفة الصلوات والأحكام الشرعيّة والعبادات والأدعية»، تصنيف «سيد نصر الله بن هبة الله» (٣٩٠هـ). و في هذا الكتاب ـ الذي يُعدّ من المصادر الأصلية عند المكارمة ـ طامّات وشركيّات وغرائب تشيبُ مِنها الوِلدان، فإلى الله المشتكىٰ.
ويجبُ أن يتفطَّن المسلمُ لألاعيب المكارمة ومكرهم، فهم إن صلَّوا مع أهل السُّنَّة والجماعة في مساجدهم لم يُخالفوهم، لكن إذا عادوا إلى =

وسيأتي زيادة بيان إن شاء الله تعالى للعبادات عندهم عند الحديث عن منهج المكارمة في العبادات والمعاملات، ومن الله نستمدُّ العون والتوفيق.

هذه إطلالة موجزة في التعريف بهم، وهذا أوان الشُروع في الحديث عن الأصول التاريخية للمكارمة.

* * *

= مساجدهم ونواديهم أعادوا صلواتهم وعباداتِهم. وهم بهذا يعملون بما يُعرف عندهم بـ(التقيّة).

الفصل الثاني

- الأصول التاريخية عند المكارمة.



الفصل الثاني

الأصول التأريخية عند المكارمة

الجذور الأولى للمكارمة يعود إلى الشيعة الإمامية في نشأتها، ويجمعها القول بإمامة جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لكن بعد وفاة جعفر سنة (١٤٨هـ) حدث انشقاق بين الشيعة، ففريق ساق الإمامة إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق. فسُمّوا الموسوية نسبة إلى موسى هذا. ويُطلَق عليهم الإمامية الاثنا عشرية نسبة إلى عدد الأئمة الاثني عشر، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي يعتقدون فيه أنَّه دخل السِّرداب في سامراء شمال بغداد بالعراق.

وفريق آخر ساق الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر فسُمُّوا بالإسماعيلية. وهذا الفريق لمَّا ساق الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر استدلوا على أنَّ أباه نصَّ على إمامته وذلك باتفاق من أولاده، ولكن الاختلاف بينهم حصل في موته في حال حياة أبيه، فمنهم مَن قال إنَّه لم يمت إلا أن والده أظهر موته تقيَّة خوفاً عليه من خلفاء بني العباس.

ومنهم مَن قال إنَّ موته صحيح، وأنَّ الإمامة تكون في الأعقاب، ولا ينبغي أن تُنْقل إلى أخيه، فالإمام بعد إسماعيل

ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[1].

والاثنا عشرية حينما ادَّعوا إمامة موسى الكاظم قالوا إنَّ إسماعيل مات في حياة أبيه، ومنهم مَن ذهب إلى القول بأنَّ جعفراً لم يُعجبه سلوك ابنه إسماعيل، فصرف الإمامة إلى أخيه موسى الكاظم، ولكن هذه الدعاوى لم يقبلها الإسماعيلية الذين رفضوا ذلك بحجة أنَّ الإمامة تكون في الأعقاب، واستدلُّوا بالآية الكريمة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، باعتبار أنَّ الكلمة عندهم هي الإمامة[2]. وقد كان لعبدالله بن سبأ اليهوديّ اليمني دور خبيث في بثّ المزاعم بين أتباعه بوجود علم سريّ عند عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (٤٠هـ)، وبالتالي تجسُّد روح الإله فيه. وهذه المزاعم تلقَّاها أحدُ الحاقدين على الإسلام ويدعى «محمد بن مِقلاص الكوفي» (١٤٣هـ) وكان يكنىٰ بأبي الخطَّاب. ومن تُرَّهاته: إنَّ لكل شيء من العبادات باطناً، وهو شيخ المفضل الجعفي الذي كان وراء محمد بن نصير النُّميري المؤسِّس الحقيقي لفرقة النُّصيرية.

وحدث أن أشاع رجلان هما: «ميمون بن ديصان» و«محمد بن مقلاص» مزاعم فحواها أنَّ لكل شيءٍ من

---

(١) «الملل والنحل للشهرستاني»: (٢/ ٧٠).
(٢) «طائفة الإسماعيلية»: (١٢ ـ ١٣).

العبادات باطناً وأنَّ الله تعالى لم يُوجب على أوليائه صلاةً ولا زكاةً ولا غير ذلك ولا حرَّم عليهم شيئاً، وأباحوا لهم نكاح الأُمَّهات والأخوات، وزعموا أنَّ هذه قيود للعامَّة تسقط عن الخاصة. وكانوا يُظهرون التشيُّع لآل النبي ﷺ؛ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامَّة، فتفرق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزُّهد والعبادة، وتعلَّموا الشعبذة والنجوم .. فهم يحتالون على كل قومٍ بما يتفق عليهم وعلى العامَّة بإظهار الزُّهد[١].

وظهر على الساحة دُعاةً مؤسِّسين إلى المذهب الإسماعيلي، بعضهم عاش في (سِلميَّة) بسوريا، وآخرون تفرَّقوا في البلاد. ويهمنا هنا رجلان:

الأول: الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي (٣٠٢هـ)[٢].

الثاني: عليّ بن فضل الجدني (٣٠٣هـ).

هذان الرجلان نزلا إلى اليمن مِن العراق وتظاهرا بالزُّهد والتقشُّف وكثرة الصوم والصلاة والتعبُّد ليلاً ونهاراً في بطون الأودية حتى استطاعا استمالة قلوب الرِعاع والسيطرة على عقولهم. وكان عليّ بن الفضل أعظمهما أثراً في إعلان عقائده

---

(١) «الكامل في التاريخ»: (٥/ ٨٠).

(٢) ورد اسمه في بعض المصادر «أبوالقاسم رستم الحسين بن فرج بن حوشب»، وفي بعضها «الحسن بن فرج بن حوشب»، وفي البعض الآخر: «الحسين فرج بن حوشب».

الكفريَّة وتحليله للمحرَّمات، وتخريب المساجد. وأخيراً ادَّعى النبوَّة، وأحلَّ لأصحابِه شرب الخمر ونِكاح البنات والأخوات!، وفي سنة (٢٩٢هـ) صعد المنبر وقال:

خذي الدف يا هذه واضربي   وغنِّي هزارك ثم اطربي
تولَّى نبيٌّ بني هاشم   وجاء نبيٌّ بني يعرُبِ
أحلّ البنات مع الأمهات   ومن فضله زاد حِلّ الصبي
لكل نبي مضى شرعةٌ   وهذي شريعة هذا النبي
فقد حطَّ عنَّا فروض الصلا   ة وحطَّ الصيام ولم يُتْعبِ
إذا الناس صلَّوا فلا تنهضي   وإن صاموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا   ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعزبين من   الأقربين مع الأجنبي
من أين حللت للأبعدين   وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن أسسه   وسقاه في الزمن المجدب؟
وما الخمر إلا كماء السما   حلال فقُدستَ من مذهب(١)

وشاء الله أن يموتَ ابنُ الفضل مسموماً مخذولاً سنة

(١) «تاريخ الفكر الإسلاميّ في اليمن»: (ص/ ٨٥). وانظر مزيداً من جرائمه في كتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك» لمحمد بن يوسف الجندي اليماني: (١/ ١٠٠).
وقد رأيتُ له نسخة مخطوطة بمكتبة البحث العلميّ بجامعة أم القرى [ميكروفيلم رقم ٣٠٨ تراجم وتاريخ اليمن إلى سنة ٧٢٤هـ] وهي مخطوطة نفيسة جديرة بالتحقيق.

(٣٠٣هـ).

ويُقرِّر المؤرخون أنَّ أول حركة إسماعيلية في اليمن كانت حوالي سنة (٢٦٦هـ) أو (٢٦٨هـ).

وبعد وفاة ابن حوشب دخلت الدعوة الإسماعيلية في اليمن في طور السِّتر خاصة بعد دخول أبوالحسن بن منصور اليمن في مذهب أهل السُنَّة ومحاربته الدعوة الإسماعيلية[١].

ومن أشهر دُعاة الستر في هذه الفترة: عبدالله الشاوري، ابن أبي الطفيل، جعفر بن أحمد بن عباس، هارون بن محمد بن رحيم، يوسف بن أحمد الأشج، سليمان الزواحي[٢].

وللإسماعيلية تاريخ في المغرب توغَّل فيها على مراحل. فقد خرج إليها «سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح» المُلقَّب بالمهدي، الذي تسمَّى فيما بعد بـ(عبيد الله)، إلا أنَّه في طريقه إليها قُبِض عليه من قِبَل العباسيين، لكن أبوعبدالله الشيعي احتال في إخراجه من محبسه، فتسمَّى سعيد حينها بـ(عبيد الله)، وتكنَّى بأبي

---

(١) «أخبار القرامطة باليمن للجندي»: (ص/١٥١) وفيه أنَّه أشهد القبائل على عودته إلى مذهب أهل السنة، فأحبَّه النَّاس ودانوا له بالطاعة.

(٢) «تاريخ الدولة الفاطمية لمحمد جمال الدين سرور»: (ص/١٩٩ ـ وما بعدها).

محمد، وتلقَّب بالمهدي، وزعم أنَّه إمام علويّ من نسل محمد بن إسماعيل، والحقيقة أنَّه من نسل (ميمون القداح)، وعندما وصل إلى قبيلة كتامة، سار أمامه أبوعبدالله الشيعي وهو يهتف: هذا إمامكم، هذا إمام الحق، هذا هو المهدي. هذا وقد نَهَجَ دُعاة عبيد الله المهدي أساليب عنيفة لإرغام الناس بالدخول في المذهب الإسماعيلي، فمَن أجابهم أحسنوا إليه، ومَن أبىٰ حُبِس أو قُتِل.

ومن جانب آخر أخذ في ترويج العقائد الإسماعيلية مِن سبِّ الصحابة والقدح فيهم، وأذن للشعراء بمدحه بما هو كفر، فهذا الشاعر محمد البديل يقول للمهدي عندما أتى رقادة:

حلّ برقادة المسيح حلّ بها آدم ونوح
حلَّ بها أحمد المصطفى حل بها الكبش والذبيح
حلَّ بها الله ذو المعالي وكل شيء سواه ريح!!

وأخذ في توطيد حُكمه بالسيف والظلم حتى استقرَّ له ذلك في المغرب. وعلى ذلك قال القاضي عياض: «أجمع العلماء بالقيروان أنَّ حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة»[١].

وقد تعاقب على الدعوة العبيدية (الفاطمية) عدد من الأئمة

---

(١) «الإسماعيلية في التاريخ»: (ص/ ٢٠).

جاءوا على النحو التالي:

عبيد الله المهدي (٢٩٧ ـ ٣٢٢)، القائم بأمر الله أبوالقاسم محمد (٣٢٢ ـ ٣٣٤)، المنصور بالله أبوالظاهر إسماعيل (٣٣٤ ـ ٣٤١)، المعز لدين الله أبوتميم (٣٤١ ـ ٣٦٥)، وفي عهده انتقلت الدولة العبيدية (الفاطمية) إلى مصر؛ حيث أرسل جيشاً بقيادة جوهر الصقلي الذي تمكَّن من اقتحامها سنة (٣٥٨) فبنى فيها مدينة القاهرة، واتخذها عاصمة له، وبنى الجامع الأزهر الذي اتُّخِذَ مركزاً علميًّا لقيادة الدعوة الإسماعيلية، ثم جاء العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦)، الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١)، وفي عهده أعلن دُعاة الإسماعيلية مذهباً انشقَّ عنها سنة (٤٠٨هـ)، نادى بألوهية الحاكم بأمر الله، وعرف هذا المذهب بالدرزية، ثم تولَّى بعد ذلك الظاهر أبوالحسن علي (٤١١ ـ ٤٢٧)، ثم المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧)، وقد انقسمت الإسماعيلية بعد وفاته سنة (٤٨٧هـ) إلى فرقتين، وكان ذلك الانقسام من أخطر الانشقاقات التي حدثت داخل الإسماعيلية، إذ صار له انعكاس خطير على مجريات تاريخ الإسماعيلية وعقائدها. وقبل الحديث عن ذلك الانقسام الخطير نُعيد الزمن قليلاً وننتقل إلى اليمن لنرىٰ ماذا حلَّ بالدعوة الإسماعيلية فيها.

● الدعوة الإسماعيلية في اليمن في العهد العبيدي (الفاطمي) وظهور الدولة الصليحية[1]:

مرّت الدعوة الفاطمية في اليمن منذ وفاة منصور اليمن بحالة من الضعف، ممّا هيّأ لها الدخول إلى مرحلة الستر، فرجع بعضُ رجالها مثل أبي الحسن بن المنصور إلى مذهب أهل السُنَّة، وفرَّ بعضُ أتباعها خوفاً من رجال السُنَّة إلى عُمان، إلاَّ أن طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ساعدت على استمرار بعض الأفراد والجماعات على تمسكها بالدعوة رغم ما واجهوه من صعوبات متخذين الستر حصناً لهم. وقد سبق أن ذكرنا دعاة هذه المرحلة، وكان آخرهم «الزواحي» الذي كان يعاصر «الظاهر» و«المستنصر» من الحكام العبيديين، وكان الزواحي هذا من أهل حراز، وكان في وقته قاضي سنّي المذهب له طاعة في رجالها، وهو «محمد بن علي الصليحي الهمداني» والد الداعي «عليّ بن محمد الصليحي»، فأخذ الزواحي يلاطفه ويلازمه حتى نجح في استمالة قلب ولده

---

(١) الدولة الصليحية: أسرة يمنيّة أسّسها «علي بن محمد الصليحي» (٤٧٣هـ). وهي نسبة إلى الأصلوح من بلاد حراز باليمن. أقام الصليحيون دولة باليمن تدين بالولاء للخلافة الفاطمية بمصر، امتدّ سلطانها فشمل مكة والمدينة، وقد أحيى الصليحيون الدعوة الشيعية في اليمن بعد أن عاشت في الستر نحو قرن من الزمان، واستمر حكمهم حوالي (٦٠) سنة.
للاستزادة انظر: «اللّطائف السنيّة للكبسي»: (٣٠ ـ ٣٥).

عليّ، وهو يومئذٍ دون البلوغ؛ لما رأى فيه من النجابة والذكاء فأخذ يُعلِّمه المذهب الإسماعيلي، ولم يلبث الزواحي أن توفي بعد أن أوصى بكتبه إلى عليّ، فداوم المطالعة لها حتى أتقن المذهب.

وعندما كبر الصليحي قام يحج دليلاً بالناس، وأخذ في جمع الأتباع سرًّا خوفاً من النجاحيين السنيين، ويحاول ملاطفة الرئيس النجاحي إلى أن تحيَّن الفرصة للخلاص منه، حتى تمكَّن من قتله على يد جارية حسناء أهداها إليه سنة (٤٥٢هـ)، فكانت هذه الحادثة بداية النزاع بين الصليحيين والنجاحيين. وكتب الصليحي إلى الإمام المستنصر بالله يستأذنه في إظهار الدعوة ومحاربة النجاحيين فأذن له، وأرسل إليه الرايات، فبدأ بالسيطرة على مناطق اليمن، ومع أن الصليحي كان همدانياً من بطن الأصلوح إلا أنه اصطدم في بدايات دولته، وهو يحاول بسط سلطته على البلاد ببطون همدان الكبرى، ومنها يام التي كانت معروفة بالشجاعة وقوة البأس وبعض بطون حمير التي منها المكارمة، إلا أن وطأته على همدان بالذات كانت بالغة الشدة، رمى من ورائها كسر شوكتها وإخضاعها تماماً لسيطرته، وهكذا خاض معها ثلاث معارك آخرها وقعة (ضوف) والتي **بعدها أعلنت همدان وبعض قبائلها وبعض حمير ومن بينهم المكارمة الدخول إلى الدعوة الصليحية وتمذهبها بالمذهب الإسماعيلي، بل والدفاع عنه،**

وبعد هذه الوقعة وبسرعة مذهلة سيطر الصليحي على جميع اليمن. فقد أجمع المؤرخون على أنه لم تخرج سنة (٤٥٥هـ) إلا والصليحي قد استولى على اليمن كله سهله ووعره، وأزال ملك النجاحيين، واتخذ صنعاء عاصمة له.

ومع استقرار الأحوال للصليحي عمل على إعداد ابنه الأكبر محمد لينوب عنه، إلا أنه مات في حياته، فعين ابنه الأوسط «المكرم» خليفة له بعد أن أخذ الإذن من المستنصر وقام بتزويج ابنه من الحُرَّة بنت أحمد.

وكان ابنا الرئيس النجاحي المقتول وهما سعيد الأحول وجياش قد هربا بأتباعهما إلى «دهلك» إحدى جزر البحر الأحمر، وعندما علما بعزم الصليحي على الحج دبَّرا حيلة لقتله؛ فتسلَّلا إلى مُخيَّم الصليحي الذي أقامه في طريقه إلى الحج فقتلاه سنة (٤٥٩هـ) وأسرا مَن كان معه. وبعد ذلك نُصِّب المكرَّم خلفاً لأبيه، وكان أول عمل قام به فك أسر أمه من النجاحيين.

وساعد على تثبيت أمر المكرَّم وصول القاضي «لمك بن مالك» قادماً من القاهرة ومعه سجل تولية المكرَّم، رغم أن أمر الإمام يقضي بفصل الدولة عن الدعوة في اليمن، فيتفرغ المكرَّم للسلطة السياسية، ويترك للقاضي «لمك» الإشراف على أمر الدعوة، فاستقامت بهذا الدعوة في اليمن خاصة بعد

القضاء على الثورات التي قام بها النجاحيون والأشراف.

ظل المكرم مقيماً في صنعاء حتى سنة (٤٦٧هـ) حيث توفيت والدته، فطلبت منه زوجته الحرة الانتقال من صنعاء إلى ذي جبلة فانتقلا إليها، وأصيب بها بمرض الفالج (الشلل) فصارت أمور دولته إلى زوجته السيدة الحرة، فعاشت في حراز بينما تولّى أمر صنعاء «عمران بن الفضل اليامي»، و«أبوالسعود الصليحي».

لمَّا استقرَّ الأمر لعمران في صنعاء أَراد مقابلة المكرَّم فمُنع إلا أن يُقابل السيدة الحرة قبله، فأصابه لذلك كبر شديد، وأنشد قصيدة طويلة ذكر فيها سوابقه مع الداعي (علي الصليحي) والد المكرَّم وما بينهما من القرابة، وأدَّى ذلك إلى عزل «عمران» عن ولاية صنعاء. إلا أن عمران أخذ يجمع بعض القبائل ومَن أجابه من بني همدان الذي هو منها لعدم رضاه عن وجود السيِّدة الحرَّة على رأس السلطة السياسية، واعتمادها على سلطة الدعوة المتمثلة في القاضي «لمك»، فأدَّىٰ إلى خروج صنعاء من أيدي الصليحيين وسيطرة الهمدانيين عليها. ورغم العداء الذي قام بين عمران وأتباعه والسيدة الحرة فإنه لمَّا وجد النجاحيين يهددون السلطة الصليحية لم يتردَّد في محاربتهم في صفوف الصليحيين لتوافقه معهم في المذهب،

وقتل في معركة الكظائم سنة (٤٧٩هـ)[١].

ظلّت السيدة الحرة طوال فترة مرض زوجها تقوم بأمر المملكة، يعاضدها القاضي «لمك» وولده «يحيى». وفي سنة (٤٧٧هـ) توفي المكرم بعد أن أسند أمر الدعوة إلى الأمير «سبأ بن أحمد المظفر الصليحي»، فكتمت السيدة الحرة نبأ وفاة زوجها وكتبت إلى الإمام المستنصر بالنبأ، وطلبت منه أن يعهد بالأمر إلى ابنها علي المعروف بعبد المستنصر ـ وكان صغيراً ـ فوافقها على ذلك، فاستمرت السلطة في يد السيدة الحرة. لم يعش الطفل طويلاً، فما لبث أن توفي فأوجد فراغاً كبيراً في السلطة؛ فقامت السيدة الحرة بأمر الدعوة[٢].

● **انقسام الإسماعيلية إلى: نزارية ومستعلية، وموقف الدعوة في اليمن منه:**

كان أول انقسام مذهبي أصاب الدولة العبيدية هو الانقسام الذي حدث بعد وفاة الخليفة المستنصر سنة (٤٨٧هـ)، فقد

---

(١) «الإسماعيلية في التاريخ»: (٨٠ ـ ٨١)، و«السلوك للجندي»: (١/ ١١٥).

(٢) السيدة الحرة لقب يُطلق على «أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي» (٤٤٤ ـ ٥٣٢هـ)، ولدت في حراز باليمن، وتزوَّجها المكرَّم الصليحي، وقامت بتدبير المملكة بعد وفاته. وهي من رؤوس الإسماعيلية، ولها شهرة ومنزلة عندهم. انظر عن أخبارها: «بلوغ المرام في شرح مسك الخِتام، في مَن تولى ملك اليمن من ملك وإمام للعرشي»: (ص/ ١٢١ ـ ١٢٦ ـ وما بعدها).

أدَّى إلى إبعاد ابنه الأكبر نزار عن الخلافة، وتولية ابنه الأصغر أبي القاسم أحمد الذي لُقِّب بالمستعلي. فانقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: إسماعيلية نزارية تعتقد إمامة نزار، وإسماعيلية مستعلية يرون صحة إمامة المستعلي.

فقد كان للمستنصر أولاد ثلاثة هم: نزار، وعبدالله، وأحمد. وكان للمستنصر وزير يُقال له: بدر الجمالي، كان بيده تصريف أمور الدولة، وكان لهذا الوزير ابن يُقال له الأفضل، فكان يعدّه ليخلفه لكِبر سنه. وبعد وفاة المستنصر لحقه بدر الجمالي، فحرص الأفضل على الانفراد بسياسة الدولة، فلجأ إلى تولية الابن الأصغر أحمد المستعلي الذي كان زوجاً لأخت الأفضل، ولِمَا بينه وبين نزار من العداء المسبق. وهكذا نجد أن الوزراء العبيديين تلاعبوا بالعقيدة الإسماعيلية ولم يبالوا بها، فكانوا يعينون الإمام الذي يريدون ولو لم يكن الأكبر حسب العقيدة الإسماعيلية في الإمامة.

ولم تُفلِح المحاولات التي قام بها نزار للثورة في الإسكندرية حيث تصدَّى له الجند، واعترف جميع الإسماعيلية بإمامة المستعلي إلا إسماعيلية فارس بقيادة الحسن بن صباح.

قامت السيدة الحرة بمساعدة داعي الدعاة «لمك» بإظهار الدعوة في اليمن للإمام المستعلي. وفي سنة (٤٩٥هـ) توفي

الإمام المستعلي، وتولى ابنه الآمر بأحكام الله، وكان طفلاً صغيراً، وتولّى أمر دولته الأفضل، فقامت السيدة الحرة بالدعوة لهذا الطفل.

وقد أبدت السيدة الحرة عدم الطمأنينة لسياسة الدولة العبيدية؛ بسبب ما تراه من المفاسد فيها، وتحيَّنت الفرص للانفصال عن الدعوة العبيدية في مصر. وقد تأتت لها الفرصة في أعقاب وفاة الإمام الآمر بأحكام الله[1].

● دخول الدعوة الإسماعيلية في الستر:

أدَّت وفاة الخليفة العبيدي العاشر الآمر مقتولاً سنة (٥٢٤هـ) على يد بعض النزارية إلى بدء تطور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية، كانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ مصر العبيدية، وعلى تاريخ اليمن بوجه خاص.

فقد توفي الآمر ولم يترك له خلفاً على الراجح، وهو ما عليه أكثر المؤرِّخين، فتولَّى الأمر من بعده ابن عمِّه «عبدالمجيد» الذي تلقَّب فيما بعد بالحافظ لدين الله، إلا أن الإسماعيلية المستعلية ينكرون ذلك ويقولون: إنه ولد له ولد سماه الطيِّب، وجعل الإمامة فيه، وأخبر السيدة الحرة بذلك،

---

(١) «تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدّامة» (ص/ ٢٢٠) بتصرف يسير. وانظر أيضاً: «طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها»: (ص/ ١٤٣ ـ ١٦٦).

لكنهم لم يستطيعوا إثبات وجوده، ولا أين مكان مكوثه وقيامه بعدئذٍ. فعلى الآمر كانت نهاية الإمامة الإسماعيلية عند طائفة، لأنه لم يتولَّ بعده إلا الكفلاء الأربعة: الحافظ عبدالمجيد، والظافر «إسماعيل» ابن الحافظ، والفائز «عيسى» بن الظافر، والعاضد «عبدالله» بن الحافظ، الذي قضى على حكمه «صلاح الدين الأيوبي» ـ رحمه الله تعالى ـ.

فهؤلاء لا يُعدّون من الأئمة الإسماعيلية على رأي جميع طوائفهم، ويُعدُّ عهدهم عهد الكفلاء. وعلى ذلك كان آخر الأئمة في دور الظهور هو الآمر بن المستعلي، وبه انتهى ذلك الدور وبدأ دور الستر مرة ثانية عند مَن يعتقد بولد الآمر الطيب أبي القاسم، وهؤلاء يسمون الطيبية المستعلية. أما النزارية فإنهم يعدون المستنصر آخر الأئمة في دورالظهور، ولا يؤمنون بإمامة المستعلي ولا الآمر ابنه.

ولمَّا وصل خبر وفاة الإمام الآمر إلى دعاة اليمن قامت السيدة الحرَّة ومعها الداعي «الذؤيب بن موسى الوادعي» بأخذ البيعة والعهد للإمام المزعوم الطيب بن الآمر، وفي الوقت نفسه فصلت وظائف الدعوة نهائياً عن وظائف الدولة، وعينت الداعية «الذؤيب بن موسى الوادعي» أول داع مطلق ليقوم بالدعوة نيابة عن الإمام المستتر الطيب بن الآمر!!! وذلك في محاولة لمقاومة الإشراف العبيدي عليها. إلا أن الزريعيين الذين استقلوا بعدن استجابوا لعبدالمجيد فأطلق

على زعيمهم «سبأ» لقب «داعي» وهو منصب سياسي؛ لأن «عبدالمجيد» ليس من الأئمة.

* * *

والخلاصة: أنَّ الإسماعيلية الفاطمية المستعلية حكمت مِصر والحجاز واليمن بمساعدة الصُليحيين. والصليحيون اسم أُسرة حكمت اليمن من سنة (٤٣٨هـ إلى ٥٣٢هـ)، وكانت هذه الأسرة اليمنيَّة تدين بالولاء للخلافة الفاطمية في مصر. **وقد عمل الصليحيون على نشر المذهب الإسماعيلي في اليمن خاصَّة** إلى أن سقطت دولتهم بوفاة «أروى بنت أحمد بن جعفر الصليحي» سنة (٥٣٢هـ)، ثم تعاقبت بعد ذلك الأُسر والحكام التي حكمت اليمن كدولة بني زريع (٤٦٣هـ) إلى (٥٧٠هـ)، في عدن وأطرافها، وكذلك دولة بني حاتم في صنعاء (٤٩٣هـ) إلى (٥٧٠هـ)، ثم دولة بني أيوب نسبة للأيوبيين، أسَّسها صلاح الدين أبوالشكر، (٥٧٠هـ)، إلى (٦٢٦هـ)، ثم حكمت اليمن دولة بني رسول نسبة إلى آل رسول «عمر بن علي» أحد وزراء الأيوبيين في مصر (٦٢٤هـ) إلى (٨٥٦هـ)، ثم ظهرت دولة بني طاهر في عدن ولحج (٨٥٨هـ)، إلى (٩٤٤هـ)، ثم ظهر العثمانيون في عدن وأطاحوا بحكم بني طاهر سنة (٩٤٤هـ)[1].

(١) للاستزادة والتوسع انظر: «الموسوعة العربية العالمية»: (٢٧/٣٣٨ ـ =

● نشر الدعوة الإسماعيلية في الهند:

في عهد الدولة الصليحية أرسل القاضي «لمكَ» إلى القاهرة للاستئذان في بدء دعوة جديدة على الساحل الغربي للهند، تشرف عليه دعوة اليمن، فتمَّت الموافقة على ذلك، فأرسل «لمك» داعيته «عبدالله» إلى الهند في سنة (٤٦٠هـ) فنجحت دعوته هناك، وعيَّن فيها رجلاً منهم هو «غرس الدين مرزبان بن إسحاق» إلا أنه سرعان ما توفي، وكان قد خلَّف ابنين أكبرهما اسمه «أحمد» فكلف الابن الأكبر بالدعوة.

استمرت الدعوة المستعلية في اليمن تشرف على أتباعها في كجرات بالهند الذين عرفوا باسم «البهرة» نسبة إلى التجارة لاشتغالهم بها، وهم جماعة من الهندوس اعتنقوا الدعوة الإسماعيلية وكلمة (بهرة) تعني التاجر بلغة الكجراتية الهنديَّة.

● الدعوة المستعلية الطيبية في اليمن في دور الستر:

بوفاة السيدة الحرة انفصلت الدولة عن الدعوة، وتفرَّغ الدعاة إلى أمور الدعوة، وابتعدوا عن مشاكل السياسة، وأصبح الداعي «الذؤيب بن موسى» أول داع مطلق في الدعوة الطيبية، إلا أنه لم يلبث أن توفي سنة (٥٤٦هـ)، فقام مكانه

= ٣٣٩)، و«طائفة الإسماعيلية»: (١٣٠ ـ وما بعدها)، و«الإسماعيلية في التاريخ»: (٤٠ ـ ٨٠)، و«اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية»: (٣٩ ـ ٥٩ ـ وما بعدها).

الداعي «إبراهيم بن الحسين الحامدي»، ولمَّا توفي الداعي إبراهيم الحامدي سنة (٥٥٧هـ)، نصَّ على ابنه حاتم. وهكذا أصبحت الدعوة الطيبية منظمة دينية محضة، ولجأت إلى التستر خاصة بعد أن سيطر على اليمن «علي بن مهدي»، الذي ظلت له السلطة إلى أن فتح اليمن «تورانشاه الأيوبي» وأصبح المذهب السُنِّي المذهب الغالب على اليمن، وخاصة فيما يُسمَّى اليمن الأسفل.

• انتقال رئاسة الدعوة الطيبية إلى الهند:

استمرَّت الدعوة في التستر في اليمن حتى انتقال الدعوة الطيبية من الداعي الثالث والعشرين «محمد بن عز الدين بن الحسن المكرمي» إلى الداعي الرابع والعشرين «يوسف نجم الدين بن سليمان الهندي» (٩٧٤هـ) وذلك في سنة (٩٤٦هـ)، حيث استطاع الهنود أن يحتكروا رئاسة الدعوة ومرتبة الداعي المطلق فترة من الزمن، وانتقلت من اليمن إلى الهند، وذلك في عهد الداعي المطلق «جلال شمس الدين بن الحسن» الذي استقرَّ في ولاية «أحمد أباد» بكجرات بالهند.

• انقسام المستعلية الطيبية إلى سليمانية وداؤودية:

في سنة (٩٩٩هـ) وأثر وفاة «داؤود عجب شاه» الداعي السادس والعشرين في سلسلة دعاة دور الستر انتخب بهرة كجرات «داؤود برهان الدين بن قطب شاه» خلفاً له، وعرف

أتباعه بالداؤودية. بينما عارض اليمنيون ذلك وعاضدوا رجلاً اسمه «سليمان بن الحسن الهندي» ادَّعى أنَّه خلف سابقه «داؤود بن عجب شاه»، وأنه نصَّ على اختياره، وعهد إليه بالدعوة بوصية منه، وسمَّى أتباعه بالسليمانية.

استقر زعيم السليمانية «سليمان بن الحسن الهندي» في «أحمد أباد» بالهند، وبدأ يتصارع مع خصمه اللدود «داؤود بن قطب شاه».

ولمَّا توفي «سليمان بن الحسن» أوصى لابنه جعفر وهو لا يزال طفلاً، وأوصى «محمد بن الفهد المكرمي» بكفالة وتربية هذا الطفل، ومات «سليمان الهندي» سنة (١٠٥٠هـ)، فانتقلت الدعوة السليمانية إلى اليمن، واحتضن «محمد بن الفهد المكرمي» جعفراً. ومات «محمد بن فهد المكرمي» بعد أن كبر جعفر. استمرَّ جعفر في الدعوة إلى أن مات، ثم تولى الدعوة من بعده أخوه «علي» الذي كان على دراية كبيرة بالمذهب، فألَّف كُتباً كثيرة في المعتَقَد الإسماعيلي منها كتاب «**إسعاف الطالب في جميع المطالب**»، وهو من الكُتُب المهمَّة عند المكارمة. وانتقل بالدعوة مرة أخرى إلى الهند واستقرَّ «بأحمد أباد». وبعد وفاته سنة (١٠٨٨هـ) كان قد نصَّ على «إبراهيم بن محمد الفهد المكرمي» فرجعت الدعوة إلى اليمن في بلدة طيبة في أبناء وذرية «محمد بن فهد المكرمي»، ولهم ممثلون في الهند في منطقة «بارودا». استمر «إبراهيم» في

مركزه في طيبة من بلاد همدان في اليمن حتى توفي سنة (١٠٩٤هـ)، وحين وفاته عهد بالدعوة إلى حفيده «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم».

وفي سنة (١١٣٥هـ) قدم إلى جنوب الجزيرة العربية الداعي «محمد بن إسماعيل المكرمي» هارباً من بلاد طيبة في اليمن بعد أن ذلَّت طائفته على أيدي الزيدية، وهمَّ بالهرب إلى الهند عن طريق القنفذة، **غير أنَّ أتباعه في جنوب الجزيرة العربية ألحُّوا عليه بالبقاء عندهم لحمايته، وأسَّس هناك سيادة جديدة لطائفته من أبناء القبائل المسانِدة.**

وفي أواخر القرن الثاني عشرالهجري اشتدَّ الصراع المذهبيّ بين المكارمة من جهة وبين الزيديَّة من جهة أخرى من أجل السيطرة والتوسُّع في جنوب الجزيرة العربية، لكن يبدو أنَّ المكارمة الإسماعيلية كان نفوذهم أقوى وأعظم من نفوذ الزيديَّة.

وقد وقعت صراعات سياسية طويلة بين المكارمة وبين القُوى المجاورة لم نشأ الحديث عنها لطوله وتَشعُّبه وعدم مناسبته لما نحنُ بصدده، إذ المقصود هُنَا التذكير بالأُصول التاريخية للمكارمة وكيف ظهروا على أرض الواقع.

سكن «محمد بن إسماعيل المكرمي» بلدة «الجمعة» وتولَّى الزعامة فيها ردحاً من الزمن.

وفي سنة (١٣٥٢هـ) انتقل مركز الدعوة الإسماعيلية إلى (حبونة)، وفي سنة (١٣٧٠هـ) انتقل إلى (**خشيوه**) في جنوب الجزيرة العربية، وهي المقرّ الرئيس للدعوة الإسماعيلية **إلى اليوم**.

وهكذا أصبح «**جنوب الجزيرة العربية**» **مأوى الفِرقة السليمانيّة الطيبية المستعلية الإسماعيلية إلى اليوم**، ولها أتباع ورِعاع في (حراز) باليمن، و(حيدر أباد) و(بومباي) و(سورة) وكجرات) و(بدرباغ) بالهند[١].

● افتراق فرقة المكارمة السليمانية[٢] الإسماعيلية في العصر الحاضر:

---

(١) للاستزادة والتوسع انظر: «المؤامرة على الإسلام لأنور الجندي»: (ص/١٤٣ ـ وما بعدها)، و«تاريخ المذاهب الإسلامية»: (١/ ٨٠ ـ ١١٥)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»: (١/ ٣٨٦ ـ ٣٩٢).

(٢) السليمانية: فرقة إسماعيلية تُنْسب إلى «سليمان بن حسن» (٩٠٢هـ)، ظهر في مدينة (تعز) باليمن وأخذ يتحدث عن المغيبات والمستقبلات ويمارس الشعوذة؛ فقبض عليه السلطان «عامر بن عبدالوهاب القرشي» (٩٢٣هـ) ـ آخر سلاطين بني طاهر ـ وقتله ثم رمى به في مكان قذر، وأمر بحرق كتبه فأحرقت. انظر عنه وعن فرقته: «النور المسافر عن أخبار القرن العاشر»: (ص/١٩٠ ـ ١٩٣)، و«شذرات الذهب»: (٨/ ١٢)، و«معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»: (ص/ ٢٥٧).
أما السليمانية المذكورة أعلاه فهي تُنْسب إلى الداعي الإسماعيلي «سليمان بن الحسن الهندي» (١٠٠٥هـ).

أصبحت اليمن هي موطن داعي السليمانية، وكل داع يوصي عند وفاته بمن يخلفه. وفي عام (١٤١٣هـ) كان داعي السليمانية يسمى «ح»[1] ونائبه يدعى «م» وهو وكيله والمسؤول عن بيت المال.

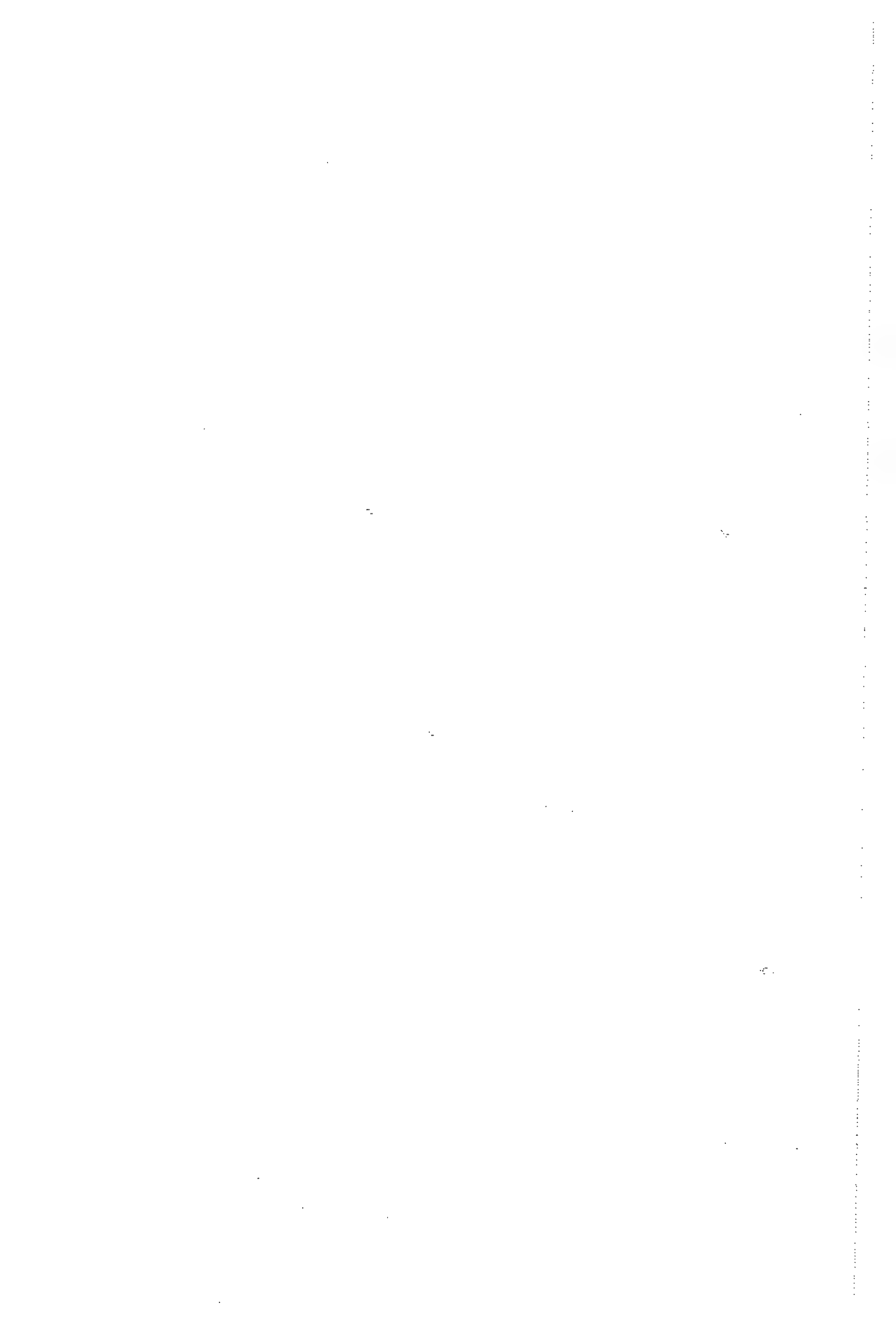
وكان (م) يعظم ويقدس لاعتقاد الأتباع أنه هو الخليفة لـ (ح). إلا أنَّه بعد وفاة (ح) وجدوا خلفه ورقة الوصية تنصّ على أنَّ الخليفة بعده رجل يسمى «(ح)» (وكان يسكن الطائف). وصارت هذه الوصية بمثابة الصاعقة على (م)؛ لأنه بموجب تنفيذها سوف يواجه مستقبلاً غامضاً، وسيفقد منصبه ومكانته وتعظيمه من قِبَل الأتباع، والأهم أيضاً بيت المال، فرفض هذه الوصيَّة، وأعلن خروجه على «ح» ونصَّب نفسه داعياً مطلقاً للمكارمة الإسماعيلية، **فانقسم المكارمة قسمين**: قسم انساق مع «م»، وقسم يؤيد «ح». وذهب المؤيِّدون لـ(ح) إلى الطائف وبشَّروه بانتقال الإمامة إليه فاستبشر، وجاؤوا به إلى جنوب الجزيرة ليتسلَّم منصبه ويستقر في «خشيوة» المقر الرئيسي لمذهب الإسماعيلية المكارمة. عند ذلك لجأ (ح) إلى استخدام السحر لصرف «ح» عن هذا المنصب وسكنى «خشيوة» فأثَّر السحر في

---

(١) (ح) و (م) رمزان لداعيتين من دعاة المكارمة. ولم نر نفعاً من التصريح باسميهما.

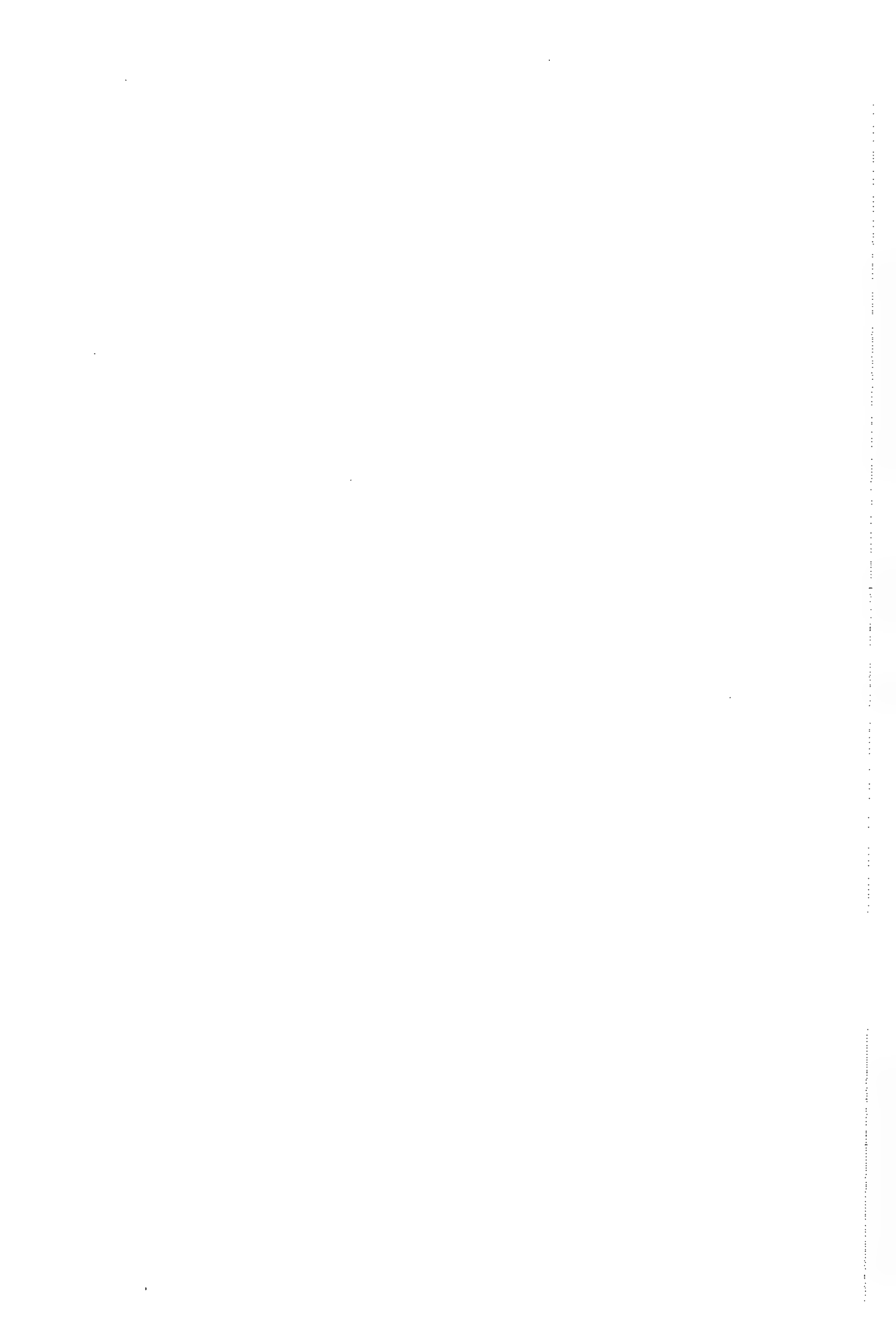
نفس (ح) فكَرِه «خشيوة»، وأُصيب بمرض، فقام أتباعه وعرضوا أمره على السحرة فكشفوا لهم السر بأن (ح) هو الذي سحره. ولمَّا اتهم (م) بذلك قام وفضح مَن كان قبله، وأن هذا المنصب لم يدرك إلا بالسحر من قبله، وأنها جادَّة مسلوكة من قبله في كل أدعياء المكارمة، فاستولى على «خشيوة» وبسط نفوذه على بيت المال. أما «ح» فقد استقرَّ في «دحضة». واستمر أتباع «ح» في ممارسة الضغوط على (م) حتى شهر ذي القعدة من عام (١٤١٦هـ) حيث استطاع «ح» وأتباعه أن يستعيدوا المركز الرئيس للفرقة، والجامع الكبير وبيت المال، بعد أن تركها (م) وقد اختلس مبالغ ضخمة تقدر بعشرات الملايين من خزينة بيت المال، وهذا دأب الإسماعيلية في كل زمان ومكان.





الفصل الثالث

● الأصول العقدية عند المكارمة.



الفصل الثالث

الأصول العقدية عند المكارمة

يمكن استقراء الأُصول العقديَّة عند المكارمة من خلال السطور الفائتة في الفصلين الأوّل والثاني، إذ عَكَسَا الصورة الحقيقيَّة لمعتَقَد المكارمة. وأُقيِّد في هذه الأسطر جملة مُقْتضبة عن الأصول والمرتكزات العقدية التي يدين بها أُولئك النَّفَر. **وسيكون نقلي مباشرة عن مُصنَّفات المكارمة (الإسماعيلية)** ذاتها. وأُقيِّد هُنَا بعض أسمائها مع أسماء مُصنِّفيها:

- الحقائق الخفيَّة عن الشيعة الفاطمية والاثني عشرية/ محمد حسن الأعظمي.
- سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية/ علي بن حنظلة الوداعي.
- تاج العقائد ومعدن الفوائد/ علي بن محمد الوليد.
- راحة العقل/ حميد الدين أحمد الكرماني.
- مذكرات آغاخان/ آغاخان.
- أربع رسائل إسماعيلية/ تحقيق عارف تامر.
- كنز الولد/ إبراهيم الحامدي.

ـ دعائم الإسلام(!)/ القاضي النُّعمان بن حيون[1].

وسيرى القارئ أنَّ المكارمة (الإسماعيلية) **فرقة باطنيّة، حقيقتُها هدمُ عقائدِ الإسلام، وغايتُها نشرُ الكفر بالله تعالى وبدين الله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبأصول الإيمان قاطبة ـ عياذاً بالله تعالى**.

ومن الطريف أن الشيعة الاثني عشرية يُكفِّرون الإسماعيلية!!

تناولهُ بالرُّمح، ثُمَّ انْثَنى له فخَرَّ صريعاً، لليدينِ وللفَمِ[2]

● **والأصول العقديّة عند المكارمة تأسَّست على التديُّن المنحرف والتمذهب الضالّ**، وأعظم شاهد على ذلك مضمون رسالة «عبدالله بن الحسين» إلى قائده «سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي». ومما جاء فيها: «وإذا ظفرت بالفلسفيّ فاحتفظ به، فعلى الفلاسفة مُعوَّلنا، وإنَّا وإيَّاهم مُجمعون على ردّ نواميس الأنبياء، وعلى القول بقِدم العالم»[3]!!.

وقد أبان الإسماعيلية عن منهجهم العقدي ومصدرهم في التلقِّي، فهذا «حميد الدين الكرماني»، أشهر مُنظري مذهب المكارمة قديماً يجزم في مُصنَّفاته أنَّه استفاد استفادة قصوى

---

(١) وقد رقمتُ قائمة بأسماء أشهر مصنَّفاتهم وأفردتُها في آخر الكتاب.
(٢) القائل: «جابر بن حُنيٍّ» كما في «شرح المفضليات للتبريزي»: (٢/ ٧٨٠).
(٣) «الفرق بين الفرق»: (ص/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

في تنظير وتقنين المذهب الإسماعيلي من التوراة والإنجيل ـ أيْ الكتابين المحرَّفين ـ[1].

ويقول «عارف تامر» أشهر الإسماعيلية المعاصرين مؤكداً صلة طائفته بالفلسفة اليونانية: «إن الإسماعيلية من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية وأخذوا عنها الأفكار والنظريات وطبَّقوها وحوَّروها في مجتمعهم، وليست جمهورية أفلاطون إلا أحد الكتب المفضلة القيّمة التي درسوها بعناية وطبَّقوها بإمعان».

ويقول أيضاً: «ففي هذه المدرسة نما الفكر اليوناني وشبَّ وترعرع، وعلى هذه الدعائم القوية والأُسس الثابتة قام ونهض فكان سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو وفيثاغورس وأفلاطون من القائمين عليه والمتكلمين والداعين إلى معرفته، وتبعهم بعد ذلك أبوحيَّان التوحيدي وجابر بن حيَّان، وابن قداح وغيرهم». «الذين اهتموا بهذه الفلسفة، واستعملوا بعض اصطلاحاتها وطرقها، وقطفوا زهورها وزبدتها ودرسوها حق دراستها».

ويقول أيضاً: «إنَّ أعلام الفكر ودُعاة العقيدة من فلاسفة الإسماعيلية منذ فجر الإسلام قد مهَّدوا الطريق وهيَّأوا الأذهان لفهم الفلسفة وبعض الإنتاج الفكري العالمي وبصورة خاصة

---

(١) «أصول الإسماعيلية»: (ص/ ١٥٠ ـ ١٥٥).

عندما جاءوا بعلوم اليونان وأفكارهم وأدخلوها في مناهجهم ثم نقلوها إلى العربيَّة وطبعوها بطابعهم الفلسفي التأويلي الباطني الخاص»[1].

ومَن يُقلِّب كُتُب القوم يجد الأثر الواضح والبيِّن في تأثُّرهم باليهود والنَّصارى والمجوس: أقطاب الغواية على المعمورة، ودليل تأثُّرهم بإخوان القردة: قولهم بالرجعة، ودليل تأثرهم بعبَّاد الصليب: أنَّ التراتيب الإسماعيلية في الدعوة، والرُّتب التي يترقَّى فيها داعي الدعاة، والداعي المطلق؛ شبيهة بالكهنوت الكنسي ونظم القساوسة.

ودليل تأثرهم بعبَّاد النيران: رفعهم لشعارات الإباحية والشيوعية، وتقريرهم أنَّ مُدبري الكون هما: السابق والتالي ـ عياذاً بالله تعالى ـ ركضاً خلف أتباع زرادشت ومزدك من الطائفة الثنوية الفارسيَّة![2].

وقد يقول بعض الجُهَّال إنَّ المكارمة يصلُّون ويصومون ويحجُّون معنا؛ والجواب أنَّ المكارمة يُطبِّقون مبدأ (التقيَّة) والقول (بالظاهر والباطن) للقيام بأعمال ظاهرية لا تُعبِّر عمّا

---

(١) «القرامطة»: (ص/٨٠)، و«سنان وصلاح الدين»: (ص/١٩ ـ ٢٠)، و«أربع رسائل إسماعيلية»: (ص/٨ ـ ٩).

(٢) «الإسماعيلية المعاصرة» للجوير: (ص/٢٢ ـ ٢٤) ويُعدُّ هذا الكِتاب على صِغَر حجمه من أفضل ما قرأتُ عن الإسماعيلية، فجزىٰ اللهُ مؤلِّفه خيراً على ما سطَّر وبيَّن.

يكنّ في قلوبهم من نفاق صريح، نسأل الله العافية!

● وأُقيِّد هنا اعتقاد المكارمة الإسماعيلية كما ورد في مُصنَّفاتهم، وحسب ما اعترف به بعضُ مَن رزقهم الله الهداية ودخلوا في الدين الإسلاميّ الحنيف.

● **أولاً: منهج المكارمة في نوعي التوحيد: الطلب والقصد، والمعرفة والإثبات:**

أ- منهجهم في توحيد الطلب والقصد:

المقصود بتوحيد الطلب والقصد: توحيد الأُلوهية، وهو أعظم أنواع التوحيد، فمن أجل تحققه أُرسلت الرُّسل وأُنزِلَت الكُتُب، وسُلَّت سيوف الجهاد، وفُرِّق بين المؤمنين والكافرين. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وعبادة الله تعالى لا تُقْبل إلاَّ بشرطين:

١ ـ الإخلاص. ٢ ـ المتابعة للرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وجِماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول

الله، ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أنه هو رسوله المبلغ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره»[1].

وليس المقصود هنا ذكر أدلة توحيد الطلب والقصد والتعريف به، إنَّما المقصود التذكير به ولفت الأذهان إلى منزلته ومكانته بين أنواع التوحيد.

● والمكارمة الإسماعيلية لم يُحقِّقوا هذا التوحيد، بل لم يؤمنوا به إقراراً وعملاً، والأدلَّةُ على ذلك كثيرة، وهذه بعضُها:

(١) السجود لغير الله تعالى:

فمن الواجبات المتحتِّمة عندهم ما قرَّره الداعي الإسماعيلي «أحمد الطيبي» حيث قال: «إنَّ على الطالب إذا حفظ ما ذكرناه أن يحضر مجالس الجماعة، فإذا تمّ ذلك يقوم النقيب بهم، فيُعيد البسملة، فإذا وصل إلى ذكر الإمام سجد وسجدوا، ثم إذا أتمَّ البسملة ناوله النقيب قدحاً من الماء، ويشرب الماء **ويخرُّ ساجداً بين يدي الجماعة**، ثم يُؤتى بقدح لبن **ويسجد** (أي: الطالب) **ويسجدون**، ويُكرِّر ذلك عِدَّة مرَّات». !![2].

---

(١) «العبودية»: (ص/ ١٧١).

(٢) «الدستور ودعوة المؤمنين للحضور»: (ص/ ٧٥).

ومن المعلوم أنَّ السجود عبادة، وهذه العبادة لا يجوز صرفها لأحدٍ إلا لله تعالى، وقد بيَّن الحق سبحانه ذلك في مواضع من كتابه، فقد قال تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢]، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧]. والنصوص في هذا المعنى لا حصر لها[١].

(٢) دعوتهم غير الله تعالى، واستعانتهم واستغاثتهم بدُعاتهم وأئمتهم:

وهذا باب واسع عندهم، وقد ذكر الإسماعيلي «سيد نصر الله بن هبة الله بن سيدي» أن من الألفاظ التي يناجي بها المكرمي ربَّه قوله: «بحق المقري والمغويشم وشمشم وبيشأ وهيشأ وبريشأ: كبأ كبأ كبأ ـ ينجلي ينجلي ينجلي...»[٢].

ونسوا أو تناسوا قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥]. وقول الرسول ﷺ: «**مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**» [أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها].

---

(١) ومن النَّواقض في هذا الباب: ركوع المكارمة لأئمتهم ودُعاتهم، وحُكمه حُكم السُّجود لغير الله تعالى، فتدبَّر.

(٢) «صحيفة الصلاة والأحكام الشرعية والعبادات والابتهالات»: (ص/ ٦٦٢).

ومن المضحكات المبكيات ما أورده الإسماعيلي «إبراهيم الحامدي» نقلاً عن جعفر بن منصور: «إنَّ الله لا يقبل توبة نبيّ ولا اصطفاء وصيّ ولا إمامة وليّ ولا عمل طاعة من عاملٍ ولو تقطَّع في العبادة واجتهد إلاَّ بولاية «عليّ بن أبي طالب» ـ صلوات الله عليه ـ وكما أنَّ الله واحد أحد، فرد صمد، ولا شريك له ي مُلكه ولا له صاحبة ولا ولد، كذلك مولانا عليَّ عليه السلام واحد في فضله، أحد صمد لا شريك له فيه، وليس له كفواً أحد»!![1].

وقد أخبرني بعضُ الثقات ممن أسلموا وتركوا المذهب الإسماعيليّ أنَّهم كانوا يُقدِّسون الداعي المكرميّ الذي كان يقول لهم دائماً: إنَّ أركان الإسلام سبعة، وليست شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منها، وأركان الإسلام ـ عندهم ـ هي:

١ ـ الولاية. ٢ ـ الطهارة. ٣ ـ الصلاة.
٤ ـ الزكاة. ٥ ـ الصيام. ٦ ـ الحج. ٧ ـ الجهاد[2].

وقد زعمت المكارمةُ أنَّ أئمتهم معصومون، وأنَّهم أرباب وألباب الطهور والعلماء بخفيَّات الأُمور. وكأنَّ الله لم يقل في

---

(١) «كنز الولد»: (ص/٢١٨).
(٢) «دعائم الإسلام»: (١/ ٣).

محكم التنزيل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

ولا عجب حين يُدندن المكرميُّ وأتباعُه قائلين: إن مُتِمّ الرُّسل وخاتم دورهم هو «محمد بن إسماعيل»!! فيا للعار، ما أبله القوم، بل ما أصغر عقولهم، وأحقر أفهامهم!!، هل بعد هذا الافتراء الفاضح شيء؟!، وما أجمل ما قال الشاعر:

الذئبُ أخبثُ ما يكونُ إذا بدا مُتلبِّساً بين النِّعاجِ إهابا[1]

وقد أخبرني ثقة ممن أسلم من المكارمة أنَّه كان يسمع عامة الإسماعيلية وخاصَّتهم يهتفون في صلواتهم: «ألا يا رسول الله جاء مستجيركم من النار في قيد الذنوب مقيَّداً، فقم يا رسول الله قومة مُسرعٍ إذا أنت من دوني فقصري مشيَّداً»، ويهتف بعضهم: «يا نبيَّ المصطفى، إليكم إليكم في الملمَّات يفزع المكروب، يا نبيّ المصطفى لديكم لديكم أمل في نفوسنا مطلوب، أنتم أنتم الغياب إذا ما أوقفتنا مِنَّا الذنوب»!!

والأدهى والأَمَرّ ما يُردِّدونه في أناشيدهم:

وإنْ رمتك الليالي البُهُم بالنُّوبِ فاهتف بأحمدَ خير العُجم والعربِ
وبالوحي عليّ كاشف الكُرَبِ فكم حزينٍ يبيتُ اللَّيل في تعبِ[2]

---

(١) القائل: «أبوالقاسم الداودي، كما في «معجم الأبيات الشهيرة»: (ص/ ٢٣).

(٢) انظر: «صحيفة الصلاة»: (ص/ ٦٠٦).

فهذا كُلُّه شرك أكبر، لا يشكّ في ذلك إلاَّ جاهل أو مُعَانِد لدين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الحق سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

(٣) الفكوك من عذاب القبر والعِتق من النار:

وهو أشبه ما يكون بصكوك الغفران التي يمنحها القساوسةُ والرهبانُ في الكنائس النَّصرانية لأتباعهم بمبالغ مالية باهظة. ومن عادة المكارمة أنَّهم إذا مات أحدهم ذهبوا إلى الداعي المكرمي ودفعوا له مبلغاً من المال مُقابِل الفكوك من عذاب القبر، ومبلغاً آخر مقابل العِتق من النار. وقد حدَّثني بعضُهم أنهم يُقدِّمون الأموال عن أنفسهم وهم على قيد الحياة!!

ومن سُخْف العقل عند المكارمة طاعتهم العمياء لسيدهم المكرميّ، القائم ـ عندهم ـ مقام الإمام الغائب. ولذلك يدفعون له ما يسمَّى عندهم بـ(نذور المقام)، وهي دراهم يقبضها المكرميُّ من أتباعه ممَّن يرغب طلب المغفرة والنجاة بشفاعة أصحاب المقامات المعظمة والمشاهد المبجَّلة في

العِراق وإيران والهند واليمن وغيرها. وللمكرميّ وُكلاء في تلك البِقاع يقومون باستلام النُّذور وتقديمها للمقامات المعظَّمة!!![1].

ومن العظائم عندهم ما يدفعه أهل الميِّت للمكرميّ إذا صلَّى على ميِّتهم صلاة الجنازة، أو ألحد قبره، أو نزل فيه، أو أذَّن فيه؛ فيقبض منهم الآلاف من أجل وقوفه معهم، فهل بعد هذا السخف شيء!! نسأل الله العافية.

وما سُقْناه من بلايا وطامَّات لا مناص للمكارمة من الإقرار بها؛ لأنَّها واقعهم ومعتقدهم ودينهم الذي يتديَّنون به، فنعوذُ بالله من الحور بعد الكور.

من كان يرغب في النجاة فما لهُ	غيرُ اتِّباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره	سُبل الضلالة والغواية والرَّدىٰ
فاتبع كتاب الله والسنن التي	صحَّت فذاك إنْ اتبعتَ هو الهدى
ودع السؤال بلم وكيف فإنَّه	باب يجرُّ ذوي البصيرة للعمى
الدِّين ما قال الرسولُ وصحبُهُ	والتابعون ومن مناهجهم قفا[2]

(١) «الإسماعيلية المعاصرة»: (ص/ ١٥٩ ـ وما بعدها)، و«البوهرة، تاريخها وعقائدها» [رسالة ماجستير مخطوطة بالجامعة الإسلامية] (ص/ ٣٣٥ ـ وما بعدها).

(٢) «سير أعلام النبلاء»: (٢٣/ ٣١٤) والأبيات للإمام المريسي (٦٥٥هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٤) ترك صلاة الجمعة:

يزعم المكارمة أنَّ صلاة الجمعة لا تُقَام إلا بوجود إمام عادل، ويقولون: الآن لا يوجد إمام عادل، فلا نقيمها!، ولهذا عطَّلوا المساجد في الجمع، وهجروا الصلاة، وضيَّعوا فريضة الله، وقد جاء في كتاب «الدعائم» للقاضي النُّعمان الإسماعيلي النصّ على وجوب صلاة الجمعة!![1].

وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنَّه قال: **«مَن ترك ثلاث جُمَع تهاوناً بها، طبع اللهُ على قلبه»**[2].

وقد حدَّثني بعضُ المكارمة ممَّن دخلوا في الإسلام قريباً، أنهم كانوا إذا صلّوا الجمعة في مساجد المسلمين السُّنَّة، ركعوا بعدها ركعتين لتكون عندهم ظُهراً من أجل اعتقادهم الآنِف!، وعندهم في كتاب «الدعائم» أنَّ عليًّا ـ رضي الله عنه ـ قال: **«لا يصلح الحكم ولا الحدود ولا الجمعة إلا بإمام»**!![3].

والخُلاصة ممَّا تقدَّم أنَّ المكارمة الإسماعيلية لم يُحقِّقوا توحيد الطلب والقصد، وهو إفراد الله بالعبادة، فظهرت منهم الشركيَّات والبدعيَّات التي أحبُّوها وتعلَّقوا بها، وهجروا أهل

---

(١) «الدعائم» (١/١٨٥)، و«صحيفة الصلوات» (ص/٤٩).
(٢) أخرجه أحمد والحاكم بسندٍ صحيح.
(٣) «الدعائم»: (١/ ١٨٤).

السُّنَّة والجماعة من أجلها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وجِماع الدِّين أصلان: أن لا نعبدُ إلا اللهُ، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إيَّاه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلِّغ عنه، فعلينا أن نُصدِّق خبره ونطيع أمره»[1].

ب ـ منهجهم في توحيد المعرفة والإثبات:

المقصود بهذا التوحيد عند أهل السُّنَّة والجماعة: توحيد الربوبيَّة وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: إفرادُ الله بالخلق والمُلك والتدبير، أي توحيد الله بأفعاله. وقد كان المشركون يُقرُّون بهذا التوحيد وحده، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصوله الإسلام، بل لابُدَّ أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية.

---

(١) «العبودية»: (ص/ ١٧٠).

أما توحيد الأسماء والصفات فهو: إفراد الله بما سمَّى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل. ويقوم توحيد الأسماء والصفات على ثلاثة أُسس، مَن حادَ عنها لم يكن مُوحِّداً لربِّه في الأسماء والصفات:

الأساس الأول: تنزيه الله عن مشابهته الخلق، وعن أيِّ نقص.

الأساس الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسُّنَّة، دون تجاوزها بالنَّقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفيّة هذه الصفات[(١)].

وأدلة التوحيد كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومنها: قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) للاستزادة والتوسع انظر: «مجموعة الفتاوى»: (٣/ ٥ ـ ٤٠ ـ وما بعدها)، و«منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»: (ص/ ٣ ـ ٥)، و«تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ٣٦ وما بعدها)، و«مجموعة التوحيد»: (١/ ٥١ ـ وما بعدها).

وتوحيد الأسماء والصفات لَا يكفي في حصول الإسلام، بل لابُدَّ مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والألوهية.

وقد وقع المكارمةُ الإسماعيليةُ في مخالفات عديدةٍ وبدعٍ مقيتة عكَّرت صفاء التوحيد في هذا الباب وأوقعتهم في حبائل الأبالسة؛ فضَلُّوا وأضلُّوا، نسأل الله العافية.

والأدلة على ضلالهم كثيرة ووفيرة، منها:

(١) الاشتغال بالسحر وتسخيره في إلحاق الأذى بالنَّاس[1]:

من يُقلِّب صفحات التاريخ القديمة يتيقَّن أنَّ اشتغال المكارمة بالسحر جادَّة مسلوكة منذ أزمان بعيدة، على أيدي الإسماعيلية الأُوَل. ففي سنة (٩٠٢هـ) أمر السلطان «عامر بن عبدالوهاب الطاهري» (٩٢٣هـ)، بتقييد «سليمان بن حسين الإسماعيلي» (٩٠٢هـ) رئيس الإسماعيلية في (تعز) وأودعه دار الأدب، وكان الإسماعيليّ يتحدَّث بالمغيَّبات والمستقبلات ويشتغل بالشعوذات.

---

(١) انظر: غير مأمور ص (٤٤و ٤٥) من هذا الكتاب.

والإسماعيلية يروون في كُتبهم التوسُّل بالمردة والشياطين، كما جاء عنهم:

«توسل بحق المقري والمغويشم وشمشم وبيشا وهيشا وبريشا ـ كبا كبا كبا ـ ينجلي ينجلي ينجلي»!![1].

«والسحر من الجرائم العظيمة، ومن أنواع الكفر، وممَّا يُبتلى به النَّاس قديماً وحديثاً في الأُمم الماضية، وفي الجاهلية، وفي هذه الأمة، وعلى حسب كثرة الجهل، وقِلَّة العلم، وقِلَّة الوازع الإيماني والسُّلطاني ـ يكثر أهل السحر والشعوذة، وينتشرون في البلاد للطمع في أموال الناس والتلبيس عليهم. . . . ومن أُصيب بالسحر ليس له أن يتداوى بالسحر، فإن الشرَّ لا يُزال بالشرّ، والكفر لا يُزال بالكفر، وإنَّما يُزال الشرُّ بالخير»[2].

قال مُقيِّده ـ عفا اللهُ عنه ـ: الترهيب من الاشتغال بالسِّحر وإتيان السحرة مما تواترت به النصوص وتظافرت عليه الأدلة.
قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ

---

(١) «صحيفة الصلاة الكبرى»: (ص/ ٢١).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لشيخنا العلاّمة عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ»: (٨/ ٦٥ ـ وما بعدها).

﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقد أخرج النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**مَن عقد عُقدةً ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك**» وإسناده صحيح.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قلنا: وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر...**». ومعلوم أنَّ السِّحر من الشرك؛ لأنَّه لا يُتوصَّل إليه إلا بعبادة الشياطين والتقرُّب إليهم بمن يرضون به وبما يُريدون من ذبح ونذر وسجود وغير ذلك(١).

ومَن سَبَر أغوار المكارمة وتدبَّر حالهم عن كَثَب وجد أنَّهم يُصبحون ويُمسون على الاشتغال بالسِّحر في بيوتهم ومزارعهم ومدارسهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) طاعتهم لِدُعاتهم وأُمرائهم في معصية الله واتخاذهم أرباباً:

قد أبان أهلُ العلم أنَّ مَن أطاع العلماء والأُمراء في تحريم

---

(١) بسط العلماءُ الكلامَ حول السِّحر وأنَّه شركٌ في الربوبية وناقض من نواقض الإيمان، انظر: «الشرك في القديم والحديث»: (٢/٩٤٣ ـ وما بعدها)، و«نواقض الإيمان القولية والعملية»: (٤٩٩ ـ ٥٢٢).

ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّم الله، راضياً بقولهم، مُقدِّماً له، ساخطاً لحكم الله، فهو كافر؛ لأنَّه كره ما أنزل الله، فأحبط اللهُ عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل مَن كرِه ما أنزل الله؛ فهو كافر[1]. ومَن تأمَّل في واقع المكارمة الإسماعيلية علم أنَّهم يتخذون دعاتهم وأُمرائهم أرباباً من دون الله، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها:

- طاعة المكارمة للمكرمي في دفع رُسوم مقابل الوحدة والوحشة في القبر[2].
- طاعة المكارمة للمكرمي في دفع رُسوم الفكاك والعتق من النَّار.
- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم مقابل الصلاة على موتاهم الذين ماتوا ولم يُعاهِدوا بالطاعة في حياتهم للداعي المكرميّ. وإنْ لم تُدفع الرسوم فلن تشمل الشفاعةُ للموتى المساكين!!
- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم تُسمَّى (الصلة) وهي ضريبة يدفعها المكارمةُ للمكرميّ، وهي بمثابة تموين يعيش عليه الإمام، أو الداعي المطلق. وكلما دفع

---

(١) «القول المفيد على كتاب التوحيد»: (٢/ ١٥٧).

(٢) ذكرتُ بعض الآثار والروايات التي يستدلّ بها أتباع الطائفة الإسماعيلية على شرعيّة الأموال التي تنهب من جهلة الإسماعيلية، وقد رددتُ على تلك الروايات، انظر ص(١١٧ ـ ١٢٠).

التَّابعُ أكثر كلما زادت الصلة بينه وبين الإمام أو الداعي المطلق!

- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم تُسمَّى (المخالصة) وهي للنِّساء فقط، وتعني الخلاص من الذنوب وإسقاط حق الزوج المتوفَّى - من كان ساخطاً على زوجته -، وكلما كانت الزوجة الثانية أو الثالثة في الزواج؛ كلما زادت قيمة المخالصة!

- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم (نذر المقام) للحصول على بركة إحدى المقامات والأضرحة العظيمة في النجف أو كربلاء أو اليمن!

- طاعةُ المكارمةِ للمكرميّ في دفع رسوم (العهد) ممن أراد التوبة أو الحج، بُغْية مغفرة الخطايا ومحو الذنوب!

- طاعة المكارمة للمكرمي في دفع رُسوم (كفَّارة النفس) ومعه ذبح عجل أو شاة للتخلُّص من (حق العق) أي ذبح عقيقة شرط أن يقوم المكرميُّ بذبحها هو من أجل البركة!

- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع ضريبتي (النَّجوى) و(الفِطرة) وهي عبارة عن قُرَب يتقرَّب بها الأغنياء من المكرمي من أجل الإنعام عليهم بالرضا والمغفرة!

- طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رُسوم (كفَّارة ما بعد الموت) والحصول على مَقْعد في الجنَّة وهذا المبلغ لا يقلّ عن عشرة آلاف ريال!!.

ـ طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم ما يسمَّى بـ(الخُمْس) أي خمس المال أو التجارة أو الهبة ونحوها من الموارد!

ـ طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رُسوم (عقد النكاح) من قِبَل الزوج!

ـ طاعة المكارمة للمكرميّ في دفع رسوم (التسليم) وهو عبارة عن مال يدفع للمكرمي بناءً على كتابته جملة «بسم الله» على السِّجلات التجارية[1]!

* * *

وقد أشرنا فيما سلف ـ قريباً ـ أنَّ المكارمة الإسماعيلية يزعمون أنَّ أئمتهم معصومون ويقولون فيهم إنهم أرباب وألباب الطهور والعلماء بخفيَّات الأمور. أي أنَّ أئمتهم يعلمون الغيب، **وكل هذا هراء ويوجب الردَّة عن الإسلام إذا قامت عليهم الحجة ووضحت لهم المحجة، نسأل الله العافية.**

---

(١) انظر: «الهمَّة في آداب اتباع الأئمة»: (ص/٦٩)، و«مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار»: (٤٠ ـ ٧٠)، و«اليمن عبر التاريخ»: (ص/٥٣ ـ وما بعدها)، و«دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين»: (ص/٢٩٩)، و«طائفة الإسماعيلية»: (٥٨ ـ ٥٩).

وقد أخرج أحمد والترمذي بسند حسن أنَّ عديّ بن حاتم سمع الرسول ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فقلت له: إنَّا لسنا نعبُدهم. قال: «أليس يُحرِّمون ما أحلَّ اللهُ فتحرِّمون، ويُحلُّون ما حرَّم الله فتحلون؟»، فقلت: بلى. قال: «فتلك عبادتُهم».

وما أحسن كلمة الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ حين قال: «عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وللإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ كلمة تُكتب بماء الذهب، يقول: «تحوَّلُ الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرُّهبان هي أفضل الأعمال، وتُسمَّى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفِقه، ثم تغيَّرت الأحوال إلى أن عُبِد من دون الله مَن ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين»[1].

ومن مظاهر طاعة المكارمة لأئمتهم ودُعاتهم: تقبيلهم لركب دُعاتهم، والانحناء لهم، وعدم معارضتهم أو مخالفتهم، كل ذلك بتعظيم وتقديس منهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) «كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب»: (باب رقم ـ ٣٧ ـ).

(٣) نفيُ أسماء الله وصفاته:

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب: إثبات ما أثبته اللهُ لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وكذلك نفيُ ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى.

وقد احتذت المكارمةُ الإسماعيليةُ حذو الجهميَّة في نفي أسماء الله وصفاته، وحذو المعتزلة في نفي صفات الله، وإثبات أسماء لله تعالى بدون صفات(١)!

يقول الكرماني الإسماعيلي: «إنَّ اسم الإلهية لا يقع إلا على المبدع الأوَّل»، أي: القلم ـ عندهم ـ ويستشهدون بقول الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١].

ويقول الحامدي الإسماعيلي: إن الله لا يُوصف بوصف، ولا يسمَّى باسم، فلا يُقال عليه حيًّا، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تامًّا، ولا فاعلاً، لأنَّه مبدع الحيّ القادر العالم التامّ الكامل الفاعل، ولا يُقال عنه ذات؛ لأنَّ كل ذات حاملة للصفات»(٢).

---

(١) «درء التعارض لابن تيمية»: (٣/٣٦٧)، و«شرح الأصول الخمسة»: (ص/١٥١).

(٢) «راحة العقل»: (ص/١٩٥)، و«كنز الولد»: (١٣ ـ ١٤).

ويقول ضياء الدين السليماني الإسماعيلي: «الحمد لله المتعالي عن السماء والأسماء، والمُتقدِّس أن يكون له تعالى حدّ أو رسم».

ويقول الكرماني الإسماعيلي: «إنَّه تعالى لا يُنالُ بصفةٍ من الصفات».

ونقلوا كذباً وزوراً عن محمد الباقر أنَّه قال: «ما قيل في الله فهو فينا، وما قيل فينا فهو في البُلغاءِ من شيعتِنا»[1].

ولا ريب أنَّما يفتريه هؤلاء الإسماعيلية هو ضرب من ضروب الإلحاد في الأسماء والصفات، إذ أعطوا أئمتهم أسماء وأوصاف الخالِق جلّ شأنه، وزادوا على ذلك تسمية الله تعالى بما لا يليق بجلاله سبحانه، وقبل ذلك جحدوا الأسماء والصفات كحال الجهميَّة، أو إثبات أسماء في الجملة وتعطيلها عن معانيها وجحد حقائقها، كفِعل المعتزلة الذين يُطلقون اسم الحيّ والسميع والبصير، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر؛ وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وهو يُقابل إلحاد المشركين، فإنَّ أُولئك أعطوا أسماءه وصفاته لالهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطَّلوها، فكلاهما مُلحد في أسمائه، وأهل

---

(١) «مزاج التسنيم»: (ص/ ٥)، و«كنز الولد»: (ص/ ١٩٥).

التعطيل من الجهميَّة وأفراخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، **وكل مَن جحد شيئاً مما وصف اللهُ به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك، فليستقلّ أو ليستكثر**[1].

ومن طامّات المكارمة أنَّهم يُطلقون لفظ الأُبوّة على الله تعالى، وقد قال «الشيرازي الإسماعيلي»: «نقولُ في أقوالهم في المسيح: إنَّه ابنُ الله، والحواريين إنَّهم أبناءُ الله، فإنَّه لا روعة في هذا القول إلا عند أهل الجهل الذين لم يرتعوا في مراتع العلم»[2]!!

وقد نقل «عليُّ بن سليمان المكرمي» عن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّه ربُّ العرش العظيم، وأنَّ أبيه هو النبأُ العظيم»[3].

وهذا القول بلا ريب مكذوب ومفترى على أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ وحاشاه من النطق بهذا القول الخطير.

والقوم كذبوا على الله تعالى وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام، فلا يبعُد أن يختلقوا الإفك وينسبوه إلى أصحاب القرون المفضلة، والله المستعان على ما يصفون.

---

(١) «بدائع الفوائد»: (١/ ١٦٢).

(٢) «المجالس المؤيدية»: (ص/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٣) **«حياة الأحرار ـ مخطوط ـ ورقة ١٣» وهذا المخطوط فيه طامّات وبلايا!**

وما أروع قول «يونس بن عُبيْد» ـ رحمه الله تعالى ـ إذ يقول: «أصبح مَن إذا عُرِّف السُّنَّة عَرَفها غريباً، وأغرب مِنه الذي يُعرِّفها»[1].

قال مُقيِّده ـ عفا اللهُ تعالى عنه ـ: وقد وقع المكارمةُ في جُملةٍ من نواقض الإيمان، نشير إليها تتميماً للفائدة، ومن اللهِ الإعانة:

(١) الإعراض التامّ عن دين الله تعالى:

والمقصود به الصُّدود والتولِّي عن دين الله وطاعته وطاعة رسوله ﷺ والامتناع عن الاتِّباع، والصُّدود عن قبول حكم الشريعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وقد تبيَّن أنَّ الدِّين لابُدَّ فيه من قول وعمل، وأنَّه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاةً، ولا زكاةً، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات»[2].

ويقول أيضاً: «وأصل ضلال هؤلاء (الرافضة والجهمية) الإعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: ٦٠/ ٢٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى»: (٧/ ٦٢١).

الهدى في خِلاف ذلك، فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه»[1].

وهناك إعراض لا يخرج عن المِلَّة، كأن يكون معه أهل الإيمان، لكنَّه يعرض عن فعل واجب من الواجبات الشرعية. والفرق بين الإعراض الكلي عن جنس العمل الظاهر (الطاعة أو الاتباع)، وبين الإعراض الجزئي عن بعض العمل: أنَّ الأول ينقض الإيمان وينفيه بالكليَّة، والآخر يُنْقِص الإيمان، لكن لا ينفيه بالكليَّة[2].

(٢) سبُّ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ:

يقول الإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة: «ونُحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نُفرط في حُبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحدٍ منهم، ونُبغِضُ من يُبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير، **وحُبّهم دين وإيمان وإحسان، وبُغضهم كفر ونفاق وطغيان**»[3].

والمتأمِّل في واقع المكارمة يرى العجب العُجَاب من التطاول على صحابة حبيبنا ورسولنا ﷺ. والعامِّي عندهم إذا

---

(١) مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٤٩٧).

(٢) «مجموع الرسائل والمسائل النجدية»: (٣/ ٣١٥)، و«الدرر السنية»: (٨/ ٢٥٨).

(٣) «العقيدة الطحاوية»: (ص/ ١٤).

غضب على أحد يقول: «عليك ما على أبي هريرة» - رضي الله عنه - أيْ من العذاب!، ويلمزون أهل السنة بـ(قوم عائشة) أو (قوم أبي هريرة) - رضي الله عن الصحابة أجمعين.

(٣) نسخ الشريعة الإسلامية:

ولهم في هذا الباب عظائم وجرائم تقشعِرُّ منها الأبدان، فمن ذلك زعمهم أنَّ القرآن ليس وحياً من الله تعالى، يقول السجستاني الإسماعيليّ: «إنَّ القبول قبولان: قبول سمع، وقبول وهم، فالقبول السمعيّ يكون بالكلام، والقبول الوهميّ يكون بالخطرات، والكلام يكون من المتكلِّم في آلات الكلام، والخطرات من متفكِّر في خزائن العقل... فصحَّ من هذه الجهة أنَّ قبول الرُّسل قبول وهميّ، يخطر في أفئدتهم وما أُرسلوا به، ثم يُؤدّون إلى الأُمم بلسانهم ولُغتهم»[١].

ومن ذلك أيضاً: قولهم: إنَّ النبوة مُكْتسبة، وإنَّ الإنسان يستطيع أن يُصبح نبيًّا بعد الارتياض والمجاهدة!! وزعموا أيضاً أنَّ الرسول تعلَّم من بشر لا عن طريق الوحي!، لإن جبريل عليه السلام ليس بملك عندهم! بل هو عبارة عن أحد العقول العشرة[٢].

وهنا كفر لا نستطيع الاسترسال في ذِكْره، نعوذُ بالله من

---

(١) «إثبات النبوءات»: (١٤٧ - ١٤٨).

(٢) انظر: «الأنوار اللّطيفة»: (١٢٦ - ١٢٧).

أهله، ونستغفرُ الله من إثباته هنا[1]!

وللسفاريني ـ رحمه الله تعالى ـ بيتان متينان في معنى النبوّة:

ولا تُنَـالُ رُتبـةُ النُّبُـوّة بالكسب والتهذيب والفُتوَّة
لكنها فضلٌ من المولى الأجلّ لما يشا من خلقه إلى الأجَلْ[2]

* * *

إنَّ ما ذكرناه في الصفحات الفائتة لمحة موجزة عن عقيدة القوم، **وهي عقيدة مُظلمة كالِحة يُخشى على صاحبها من البوار إن لم يُسارع بالتوبة والرجوع إلى الحنيفيّة الإبراهيمية الإسلامية، ويعضّ عليها بالنواجذ إلى الوفاة.**

ولم نشأ أن نخوض في تفاصيل عقيدة القوم؛ لأنَّ باب العقائد بحرٌ لا ساحل له، وقد أثبتنا بعض المصادر الإسماعيلية التي يعتقد المكارمةُ بعقيدتها لمَن أراد الوقوف عليها مباشرةً. وقد ضربنا صفحاً عن الردود والمناقشات مع القوم لأنَّ بيننا وبينهم مفاوز!

---

(١) انظر: «إثبات النبوءات»: (ص/ ١٨٢ ـ ١٨٣) فقد صرَّح فيه بوجوب نسخ الشريعة الإسلامية من قبل دعاتهم، نسأل الله العافية.
(٢) «الدرة المضيّة في عقد الفرقة المرضية»: (ص/ ١٢).

وقد نقل الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ عن «عبدالله بن المبارك» ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال: «أُصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدريَّة، والمرجئة. فقيل له: والجهميَّة، فأجاب: بأنَّ أُولئك ليسوا من أُمة محمد ﷺ، وكان يقول: إنَّا لنحكي كلام اليهود والنَّصارى، ولا نستطيع أنْ نحكي كلام الجهميَّة»[1].

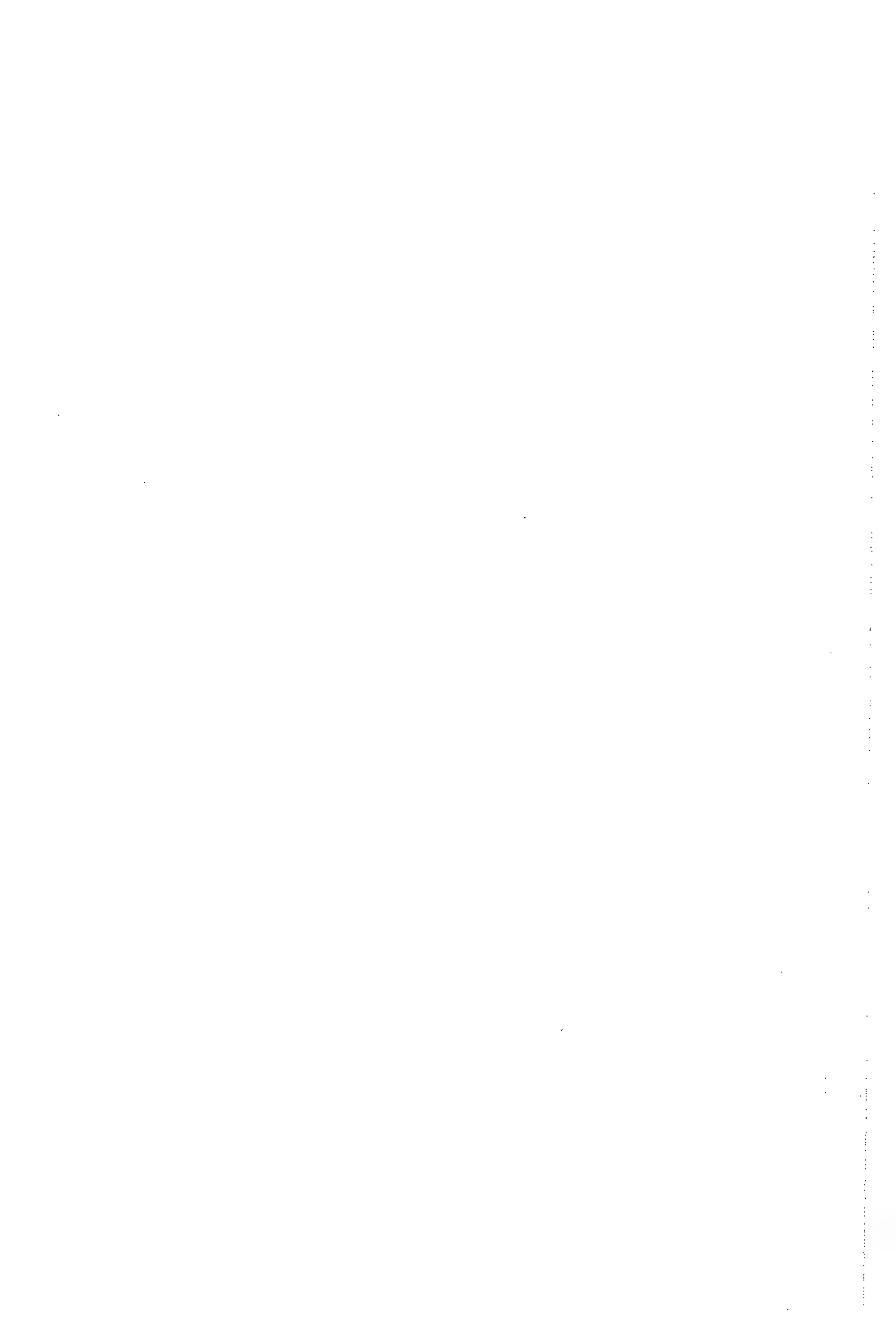
* * *

---

(١) «خلق أفعال العباد»: (ص/ ٣٠ ـ ٣١).

الفصل الرابع

- منهج المكارمة في العبادات والمعاملات.



الفصل الرابع

منهج المكارمة في العبادات والمعاملات

نَهَجَ المكارمةُ نهجاً غريباً وعجيباً في قيامهم بعباداتهم ومعاملاتهم، والغرابةُ والتعجُّب لم تصدرا من المسلمين السُّنَّة فحسب؛ بل صدرتا من أتباع الطائفة الإسماعيلية نفسها، وهذا ما جعل كثيراً من المنتسبين إلى الإسماعيلية يشكِّكُون في وحدتها ومصدرها، ومن ثمَّ يخلعونها ويدخلون في دين الله الحنيف. وقد تواترت لدينا أخبار صحيحة تُفيد أنَّ المكارمة الإسماعيلية يختلفون للغاية في عباداتهم ومعاملاتهم مع بعضهم البعض، عكس ما يظن فِئَامٌ من النَّاس أنَّهم مُتوحِّدون ومُقتنعون بمذهبهم، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وقد بنى القومُ مذهبهم وعقيدتهم في العبادات والمعاملات على ثلاثةِ أُسس:

- **الأول**: تشريع ما لم يأذن به الله.
- **الثاني**: تأويل نصوص الوحيين.

● الثالث: الدعوة إلى التقيَّة[1].

وهذه الأُسس الثلاثة خلطوها ليُعطِّلوا أحكام شريعة الله ويُنادوا بنسخ الشريعة الإسلامية واستحلال المحرَّمات ونشر الإباحيَّة كما جاء في مُصنفاتهم ودواوينهم.

وكأنِّي بـ«جميل بن عبدالله العُذري» يقصد القوم حين قال في بعض قصائده:

رمى اللهُ في عينيْ بُثينة بالقذى   وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقوادحِ[2]

وسنعرِضُ منهج المكارمةِ في العبادات والمعاملات مُعْتمدين على مصادرِهم وبعضِ ما نُقِلَ إلينا عنهم بالأسانيد الجِياد، ومنِ الله الإعانة.

● **أولاً: منهجهم في العبادات:**

من الأمور المسلَّمة عند العلماء؛ أنَّ شروط العبادة ثلاثة أُمور:

الأول: صدق العزيمة: وهو شرط في وجودها.

---

(١) أشرت إلى معاني «التقيَّة» عندهم في آخر الفصل الخامس من هذا الكتاب.
وانظر للاستزادة والتوسع: «الشيعة في الميزان»: (ص/٥٢، ٣٤٥)، و«أصول مذهب الشيعة»: (ص/١١٢٠ ـ ١١٣٧) وفيه فوائد.

(٢) «الزاهر في معاني كلام الناس»: (١/٢١٩ ـ ٢٢٠) وفي هذا البيت فوائد جليلة تُراجع في المصدر المشار إليه.

الثاني: إخلاص النية.

الثالث: موافقة الشرع الذي أمر اللهُ تعالى أنْ لا يُدانَ إلا به[1].

والمتأمِّل في مواقع المكارمة الإسماعيليَّة؛ يلحظ أنَّهم لم يُحقِّقوا هذه الشروط، ويتبيَّن هذا من خِلال النَّظر في عباداتهم التي يدينون الله بها.

● أركان الإسلام:

يعتقد المكارمةُ الإسماعيليةُ أنَّ أركان الإسلام سبعة:

١ ـ الولاية: وهي أفضلها عندهم.

٢ ـ الطهـــارة.

٣ ـ الصـــلاة.

٤ ـ الزكـــاة.

٥ ـ الصيـــام.

٦ ـ الحـــج.

٧ ـ الجهـــاد[2].

ومن بديهيّات عقيدتهم أنَّ الشهادتين ليستا من أركان الإسلام، وهو محض افتراء، إذ الشهادتان هما كلمة الإسلام ومفتاح دار السَّلام، وبها يُعصمُ الدم والمال، وهي أصل

---

(١) «أعلام السنة المنشورة»: (ص/ ٣٥).

(٢) «دعائم الإسلام»: (١/ ٢)، و«تأويل الدعائم»: (١٩/ ٤٢٠).

الدِّين وأساسه، ورأسُ أمره وساق شجرته، وعمود فُسطاطه، وهي العروة الوثقىٰ، وكلمةُ التقوى، وهي أعظم الحسنات، وأفضل ما قاله النبيُّون.

أما زعمهم أنَّ الولاية أو الإمامة أحد أركان الإسلام ومبانيه العِظَام؛ فهو قول مُفترىٰ يُخالف ما جاء في الوحيين وما نقله لنا الصَّدر الأول من علماء الإسلام.

ومن تُرَّهاتهم في هذا الباب:

ـ لا تخلو الأرض من إمام أبداً، ظاهر أو مستور[١].

ـ لا يكون أحد إماماً إلا من أولاد عليّ: الحسن والحسين، ثم أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد إسماعيل، لا في أولاد أحدٍ غيره[٢].

ـ إثبات العصمة لأئمتهم[٣].

ـ لا يكون أحدٌ إمام وأبوه حيّ[٤].

ـ الأئمة عندهم يعلمون الغيب: «نحن الأئمة أولياء الله، لا يفتر علينا من عِلمه شيء، لا في الأرض ولا في السماء،

---

(١) «الأزهار»: (ص/١٨٩).
(٢) «دعائم الإسلام»: (١/٢٨).
(٣) «المصابيح في إثبات الإمامة»: (٩٦ ـ ٩٧).
(٤) «تأويل الدعائم»: (٢/١٠٦).

نحن يدُ الله وجنبه، ونحن وجهُ الله وعينهُ، وأينما نظر المؤمن يرانا، إن شئنا شاء الله..»[1]!!

ولشاعرهم الخبيث «محمد بن هانئ الأندلسي» (٣٦٢هـ) في مدح «المعزّ الإسماعيليّ» أبيات تقشعرُ منها الأبدان، يقول:

ما شئتَ لا ما شاءت الأقدارُ فاحكم فأنت الواحدُ القهَّار
هذا الذي تُرجى النَّجاة بحبِّه وبه يُحطّ الإصرُ والأوزار
هذا الذي تُجدي شفاعتُه غداً حقًّا وتخمدُ إنْ تراهُ النَّار[2]

● **والأصل الثاني عندهم: الطهارة، ولهم فيها بدع وعوائد غريبة.**

فعند الوضوء يتلفظون بالنيَّة، وعند الشروع في غسل كل عضو يقول كل واحدٍ منهم الدعاء المأثور عندهم: «اللهم اسقني من كأس محمد نبيِّك»، ولكل عضو دعاء مختلف عمَّا قبله. وهيئة الوضوء عندهم قريبة من هيئة الوضوء عند المسلمين السُّنَّة، إلا فيما يتعلَّق بغسل القدمين، فإنَّهم يرون المسح فقط، وهم بهذا يوافقون الرافضة[3]!

---

(١) «الهفت الشريف»: (ص/ ٤٢) نقلاً عن محمد الباقر «وهو منه براء».
(٢) «ديوان ابن هانئ» (ص/ ٣٦٥).
(٣) «صحيفة الصلوات»: (ص/ ٥).

ومن بدعهم عدم مشروعيَّة المسح على الخفين والجوربين، ولا الصلاة بهما.

● صيغة الأذان للصلاة:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.
أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.
أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله[1].
أشهد أن مولانا عليًّا ولي الله، أشهد أن مولانا عليًّا ولي الله.
حي على الصلاة، حي على الصلاة.
حي على الفلاح، حي على الفلاح.
حي على خير العمل، حي على خير العمل.
محمد وعلي خير البشر، وعترتهما خير العِتَر.
محمد وعليّ خير البشر وعترتها خير العِتَر.
الله أكبر، الله أكبر.
لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

● صيغة الإقامة للصلاة:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.
أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله.

---

(١) ومع أنَّ المكارمة شهدوا لمحمد ﷺ بالرسالة، فإنَّهم لم يقوموا بحقوقه، ومن حقوقه ﷺ: اتِّباعُه والاقتداء بهديه، لقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فأين هذا من ذاك؟!

أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله.
حي على الصلاة، حي على الصلاة.
حي على الفلاح، حي على الفلاح.
حي على خير العمل، حي على خير العمل.
قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة
الله أكبر، الله أكبر
لا إله إلا الله.

● الركن الثالث عندهم: الصلاة[1]:

وصلاة المكارمة تُشبهُ نوعاً ما صلاة أهل السُّنَّة في الظاهر، إلا أنَّها تختلف في أمور منها: التلفظ بالنية عند إرادة كل صلاة ـ وبعد أن يُكبِّروا للصلاة يدعون بهذا الدعاء: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، على ملة إبراهيم ودين محمد وولاية علي وأبرأ إليه من أعدائه الظالمين» ويقصدون بالظالمين صحابة رسول الله ﷺ وخاصة الخلفاء الثلاثة الراشدين رضي الله عنهم الذين اغتصبوا ـ

---

(١) قال الحامدي في «كنز الولد»: (ص/ ٢٨٦): «**الصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام**»، وقال السجستاني: «**الصلاة عندنا ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم**». انظر: «الافتخار»: (ص/ ١١٦)، و«الأنوار اللطيفة»: (ص/ ٢٢٠)، و«المجالس المؤيدية»: (ص/ ٢١٤).

بزعمهم ـ الخلافة من عليّ رضي الله عنه وظلموه، وهم في صلاتهم سواء فرادى أو جماعة لا يقولون «آمين» لا سرًّا ولا جهراً، ويُسدلون أيديهم في الصلاة ولا يضمّونها على الصدر، ولكل واحد منهم سجادة يصلي عليها، ويلاحظ على صلاتهم السرعة، فهم لا يخشعون في صلاتهم ولا يطمئنون. ومن عاداتهم الغريبة أن أحدهم إذا أراد أن يصلي وضع كل ما معه من محفظة ومفاتيح وأوراق وساعة أمامه على طرف السجادة، وبعضهم أيضاً يضع سرواله! ولهم في هذا تأويل مستمدّ من دعاتهم وأئمتهم!!

وهم يجمعون بين صلاة الظهر والعصر جمع تقديم وكذلك المغرب والعشاء جمع تقديم دوماً ويُعلِّلون ذلك بأن الصلاة الأولى مثل دعوة محمد ﷺ والأخرى مثل دعوة محمد بن إسماعيل وهو من أبناء سُلالة محمد ﷺ ودورهما واحد، ولذلك يجمعون بينهما.

● **ويلاحظ على المكارمة علاوة على ما مضى:**

١ ـ أنهم لا يفرشون مساجدهم، وإنما يقتصرون على السجادات الفرديّة.

٢ ـ أنهم يقسمون الصفوف إلى مراتب، فالصف الأول في مساجدهم لأصحاب الهجرة. وهم من هاجر منهم

إلى «حراز»[1]، يليهم صف التّجار والوجهاء.

٣ ـ إذا اضطروا إلى الصلاة مع أهل السُّنَّة، فإنهم يُصلون بنيَّة الإفراد أو الإعادة.

٤ ـ لا يصلون صلاة الجماعة إلا بوجود إمام معيَّن من قبل الداعي المكرمي أو نائبه.

ويعرف الإمام أو نائبه بلبس خاتم فَضّة أسود في الخنصر في اليد اليمنى، ويكون ذقن الإمام أو نائبه محلوق الوجنتين!!

وإذا لم يوجد هذا الإمام بهذه الصفة فإنَّهم يُصلُّون فُرادى!

٥ ـ لا يصلون صلاة الجمعة، **بحجة عدم وجود إمام عادل.**

وبناءً على هذا فإنَّهم يُصلُّون الجمعة ظهراً وتكون القراءة فيها جهريَّة[2].

---

(١) «حراز»: منطقة جبليّة في اليمن بين «صنعاء» و«الحديدة»، أعلى جبالها «حراز». تُعدّ (حرّاز) قاعدة الإسماعيليّين في (اليمن). وقد انطلق منها «عليّ بن محمد الصليحي» سنة (٤٧٣هـ) وجهر فيها بإعلان الدعوة الباطنية التي كانت في طور الكتمان بعد هلاك «عليّ بن الفضل» سنة (٣٠٣هـ).

للاستزادة والتوسع انظر: «الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن»: (ص/ ٧١)، و«تاريخ اليمن الثقافي»: (٤/ ٩٠ ـ ١١٠)، و«الصليحيون للهمداني»: (ص/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، و«دائرة المعارف الإسلامية» (٧/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) «الدعائم»: (١/ ١٨٤ ـ حديث رقم (٥٩٣)) وفيه: «عن عليّ ـ صلى الله =

أما إذا صلّوا الجمعة مع أهل السنة، فإمّا أن يزيدوا عليها ركعتين بعد سلام الإمام، وإمّا أن يُعيدوها ظهراً!!

٦ ـ أغلب مساجد المكارمة تكون بجوار مزارعهم ومُنْتزهاتِهم.

● الصلوات الأخرى عندهم:

١ ـ صلاة ليلة السابع عشر من رجب:

وعدد ركعاتها (٢٢) ركعة، يقرأ فيها المصلِّي من قِصار المفصَّل، ويروون في فضلها: «أنَّ رسول الله ﷺ بُعث في صباحها، والعامل فيها له أجر عشرين سنة».

٢ ـ صلاة ليلة الخامس عشر من شعبان:

يُصلِّي فيها الواحد (١٤) ركعة، يقرأ في كل ركعة «المعوِّذتين» (١٤) مرّة وآية الكرسي.

٣ ـ صلاة ليلة الثالث والعشرين من رمضان:

يُصلُّون أولاً المغرب والعشاء جمع تقديم، ثم يقوم كل واحدٍ منهم منفرداً. ويُصلِّي ست ركعات أو ثمان، صلاة الكفاية، يسلِّم بعد كل ركعتين مثل صلاة أهل السُّنَّة، ثم يُصلِّي ثمان ركعات صلاة التهجد، ثم يصلي اثنتي عشرة ركعة صلاة التسابيح، وهذه الأخيرة لا تُقرأ فيها الفاتحة ولا ما تيسَّر

= عليه وسلم ـ: لا يصلح الحكم ولا الحدود ولا الجمعة إلا بإمام»!!. ومن البدع عندهم: أنهم لا يصلون العيدين، قياساً على تركهم لصلاة الجمعة!

ن القرآن، وإنما يُقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، خمسة عشرة مرَّة في القيام، ومثلها في الركوع، ومثلها في الرفع من الركوع، ومثلها في السجود، فالجلسة بين السجدتين وهكذا حتى تفرغ من كل ركعتين لوحدها، فتسلم حتى تنتهي الاثنتا عشرة ركعة ثم تبدأ الأقوال الغريبة حيث يقولون: يا عليّاه ـ سبعين مرة ـ، ويا فاطمتاه ـ مائة مرة ـ ويا حسناه ـ مائة مرة ـ ويا حسيناه ـ (٩٩٧) مرة ـ ثم البراءة من أعداء البيت، وبعد ذلك يستلقون على الأرض **ويأخذون في التدحرج عرضاً في المسجد من أوله إلى آخره ذهاباً وإياباً عِدّة مرَّات**، ثم يسجد الواحد منهم ويضع خدّه الأيمن على الأرض ويقول: يا عليّ، ثم يضع خدّه الأيسر على الأرض ويقول: يا فاطمة، وهكذا في سرد لأئمتهم حتى آخرهم.

٤ ـ صلاة الثامن عشر من شهر ذي الحجة[١]:

يُصلِّي فيها الواحد منهم ركعتين بعد زوال الشمس شكراً لله. ويروون كذباً أنَّ جعفر الصادق قال فيها: «إنَّ هذه الصلاة تعادل عند الله عز وجلّ مئة ألف حَجَّة، ومئة ألف عُمْرة، وما سُئل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قُضيت له كائنةً ما

---

(١) وهو المسمَّى عندهم بـ(يوم غدير خُمّ) وسيأتي الحديث عنه بعد صفحات.

كانت الحاجة»[1].

٥ ـ الصلاة على الميِّت:

يُصلِّي المكرميُ أو نائبه على الميِّت من أتباع الطائفة المكرميّة، وينزل في قبره ويُلْحده ويؤذِّن فيه، ويقومون بكسر يده الشِّمال، مُعتقدين أنَّهم بكسرها يمنعون استلام كتابه بشماله يوم القيامة! ويدفع المكارمةُ للمكرميّ أو نائبه نظير قيامه بتجهيز الميِّت مبلغاً من المال.

● الركن الرابع عندهم: الزكاة:

يُقصد بالزكاة عند المكارمة: المُكوس والضَّرائب التي يدفعها أتباع الطائفة للمكرميّ أو نائبه كإثبات لصدق الانتماء للمذهب. ونسبة الزكاة عندهم (٥٪) من المال يدفعها المكارمة لتوضع في بيت المال عندهم[2].

وقد صنَّف المكارمة الإسماعيليّةُ لكل عمل من أعمالهم

---

(١) «صحيفة الصلاة الكبرى»: (ص/٤٤٩). قلت: وجميع هذه الصلوات التي يصلونها هي صلوات بدعيَّة غير مشروعة، وفي بعضها شرك وفجور وافتراء.

(٢) جاء في «زهر المعاني» لإدريس عماد الدين: (ص/٧٤): «**قال عليّ: إيتاء الزكاة هي الإقرار بالأئمة من ذريتي**»، وجاء في «إثبات النبوءات» للسجستاني: (ص/٦): «**إنَّ إيتاء الزكاة هو طاعةُ الناطق ثم الأساس**»!!، وانظر: «المجالس المستنصرية»: (ص/٦٧)، و«المجالس المؤيَّدية»: (ص/٢١٤).

التعبُديَّة مُكْساً من المكوس، يأكلونها سُحْتاً في بطونهم! فالتوبة من الذَّنب لها مُكس، ومُريد الحج عليه مُكس، وزكاة الفطر تؤخذ مكساً، وكذا عقد الزواج وتغسيل الميِّت والصلاة عليه ودفنه، وغيرها من أنواع ابتزاز الأموال بالباطل، ومصادرة ثروات الناس بغير حقّ، فيالله العجب!

وقد قال اللهُ تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

ألا يتَّعظ المكارمةُ بالأُمم البائدة التي جمعت فأوعت، فلم يُغن عنهم ذلك من الله شيئاً، بعد شِقاقهم وتمرُّدهم على أوامر الله وأوامر رسله عليهم الصلاة والسلام.

مَن يُصدِّق أنَّ المكرميّ يقبض على نذر المقام في الهند أو العراق: «ثلاثة آلاف ريال»[1]، ويقبض على بدل الصلاة في كربلاء والنَّجف: «عشرة آلاف ريال»؟!، ويقبض على كفَّارة ما بعد الموت: «عشرة آلاف ريال»!!!.

وقد مضى معنا في الصفحات السابقة الإشارة إلى أصناف

(١) أي: كفَّارة النَّذر الواحد.

المكوس التي ينتزعها المكرميُّ من أتباعه؛ ليُشبع بها شهوته ونهمَتهُ، فلا نُطيل الحديث عنها.

● الركن الخامس عندهم: الصيام:

يُخالف المكارمة أهل السُّنَّة والجماعة في الإمساك عن المفطِّرات وفي نظرتهم إلى الصيام، لسببين:

الأول: لأنَّهم يُفسِّرون الصيام بفلسفة خاصَّة عندهم.
الثاني: أنَّ للصيام شروطاً مُعتبرة في مذهبهم.

فالسبب الأول قالوا عنه: «إنَّ الصوم هو السِّتر والكتمان، ألا ترى إلى قول مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦][1].

وأضافوا: «الصوم هو الصمت بين أهل الظاهر، وكتمان الأسرار عنهم، وصوم شهر رمضان هو سِّتر مرتبة القائم.. ومن ﴿شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: مَن أدرك زمان الإمام فليلزم الصمت»[2].

ومن أجل ذلك عمدوا إلى ليّ النصوص وتحريف معناها حتى يصلوا إلى تقرير شبهاتهم بين الناس، حتى لو كانت النصوص تخلو من قرينة، ولهذا فسَّر الداعي الإسماعيليُّ

---

(١) «الرسالة المذهبة»: (ص/٥٧).
(٢) «كتاب الافتخار»: (ص/١٢٦ ـ ١٢٧).

بعض اقوال الرسول ﷺ على تلك القاعدة، حيث أوّل قول الرسول ﷺ: «**لخلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من رائحةِ المسك**»[1]، فقال: «إنَّ الصائم مثل الكاتم لدينه وعمله عمَّن لا يستحقه، والخَلُوف هو ما يطلع على الإنسان من بخار المعدة ولتعطلها عن الطعام، فأشار بذلك إلى ما يكون عندالحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه، فإن ذلك الإمساك أحب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله وفي غير وقته، وشَبَّهَهُ لديه تعالى برائحة المسك الذي هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده[2].

وتبعه على هذا المعنى «النُّعمان القاضي» حيث قال: «الصوم في الباطن كتمان علم باطن الشريعة عن أهل الظاهر والإمساك عن المفاتحة به مما يؤذن له في ذلك كما جاء في اللغة أن الصوم هو الإمساك عن الكلام والوقوف عن الأعمال، والنهار مثله مثل الظاهر وأهله، والليل مثله مثل الباطن وأهله، ولذلك كان الصوم في النهار دون الليل، ليصح ذلك ظاهراً وباطناً ويطابق بعضه بعضاً، ويظهر القول

---

(١) أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) «مسائل مجموعة من الحقائق العالية»: (ص/٦٨).

فيه ويصح معانيه، كذلك المفاتحة في الباطن، لا يجوز لأهل الظاهر وتجوز لمن يطلق له من أهل الباطن وفي حد ذلك ومكانه... وقول الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه: صوم شهر رمضان فرض في كل عام، فشهر رمضان شهر من شهور السنة معروفة، والسنة اثنا عشر شهراً، فمثل السنة في التأويل الباطن مثل الناطق صاحب الشريعة، وهو في شريعة الاسم محمد النبي صلى الله عليه وآله، وقيل ذلك لأن الناطق صاحب الشريعة وهو يسن الحكمة ويأتي من قبل الله عز وجل بعلم الشريعة، ولأن جماع أمر الشريعة له وهو يُدبِّر ما فيها ويحكمه كما تدور السنة على كل ما يجري فيها في دورها، فكذلك الناطق الذي هو صاحب الشريعة، مثل شهور الاثني عشر مثل نقباء صاحب الشريعة الاثني عشر، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، وكذلك نقباء موسى عليه السلام، كذلك أيضاً نقباء عيسى عليه السلام اثنا عشر، وهم الحواريون وأحد النقباء يكون أساساً لصاحب الشريعة. يوصي إليه في حياته ويكون ولي أمر أمته بعد وفاته، فمثل شهر رمضان في دور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل علي بن أبي طالب عليه السلام وهو وصيه في حياته وولي أمر أمته من بعده، والي الوصي يصير أمر الدعوة المستورة وعلم التأويل الباطن المستور، فنص الله عز وجل بذلك عليه، وكان الصوم الذي ذكرنا أن مثله مثل الكتمان والتأويل في الشهر

الذي هو مثله في الباطن، وقال جل من قائل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ فكمال عدد أيام شهر ثلاثون يوماً، ويكون تسعة وعشرين يوماً، فنصَّ الله عز وجل على شهر رمضان بكمال العدة، فكان ذلك كامل الأيام أيامه ثلاثون يوماً لا تنقص أبداً مادامت الشهور تجري، ومثل الأيام كما تقدم البيان مثل أولياء الله القائمين بأمر دينه لعباده، ومنه قوله جل ذكره: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، وكان بين المهدي وبين علي صلوات الله عليهما عشرة أئمة وعشرة حجج وعشرة أبواب، وهؤلاء مثل أيام شهر رمضان التي أمر الله عز وجل بصومها، وذلك في التأويل كتمان أمرهم وما يلقونه من التأويل إلى من عاملوه إلى أن يأذنوا في ذلك لمن يرونه»(١).

ثم بيَّن النعمان هذا معنى القول المنسوب إلى جعفر أنه قال:

«لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع إلى مولاه، ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يبر. تأويل ذلك أن مثل العبد الآبق مثل الزائل من إمام زمانه النازع عن الكون في جملته. ومثل المرأة الناشزة مثل المستفيد المنقطع عمن يفيده والمتخلف عن

(١) «تأويل الدعائم»: (٣/١٠٨).

الإتيان إليه لالتماس الحكمة من قبله. ومثل الولد العاق مثل الجاني على داعية أو على بابه اللذين هما أدنى أبويه إليه فمن فوقهما من حدود أولياء الله على ما قدمنا شرحه إلى ناطق زمانه وحجته وإلى صاحب شريعته وأساسه بما يكون منه إلى أحد منهم من قول أو فعل يعقه به بحسب ما يكون في الظاهر من الولد إلى والديه عقوقاً، فمن فعل ذلك ظاهراً وباطناً وصام في الظاهر والباطن لم يتقبل من صيامه، لما تقدم القول به من أن الولاية مثلها مثل النية، وأنه لا يقبل منه عمل إلا بنية ولاية، ومن عصى إمامه أو رغب عنه أو عقّ أحداً من حدوده اللذين هم الأسباب فيما بينه وبينه وهم في الباطن آباؤه فقد خرج من ولايته، ولا يقبل له عمل مادام على ذلك حتى يرجع عنه إلى ما خرج منه بالتوبة والرجوع إلى أمر الله وأمر أوليائه، فهذا تأويل قول الصادق عليه السلام أنه لا صيام لمن عصى الإمام، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع، ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب، ولا صيام لولد عاق حتى يَبِر، وبيان ذلك ظاهراً وباطناً[1].

السبب الثاني: أنَّ للصيام شروطاً مُعتبرة في مذهبهم: وقد ذكر النعمان القاضي بعضاً منها في ثنايا كلامه السابق، ويُضاف إليها ـ كما هو مُقرَّر في مذهبهم: اعتماد دخول شهر

(١) «تأويل الدعائم»: (ص/ ١١٠ ـ ١١١).

رمضان على الحِساب السنويّ، وكذلك خروجه، وإعراضهم عن الاعتماد على رؤية الهلال التي أمر بها رسول الله ﷺ حين قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»[١].

فنصوص الكتاب والسُّنَّة تُقرِّر أنَّ مناط دخول الشهر وخروجه هو الرؤية أو إتمام الشهر الذي قبله ثلاثين يوماً.

وجاء في بعض كتبهم «صحيفة الصلاة الكبرى» (ص/٦٨٦) وجوب اعتماد جدول الكبيسة، وفيه أنَّ أشهر السنة لا تتغيَّر، وعليه فصيام رمضان ثلاثين يوماً ـ على الدوام ـ من لوازم مذهبهم الفاسد!

● **صيام المكارمة لما يُسمَّى بيوم «غدير خُمّ»:**

غدير خُمّ: موقع بين مكة والمدينة بالجحفة، ويقع شرق رابغ بما يقرب من (٢٦) كيلاً، ويسمَّى اليوم «الغربة»، ويُذكر أنَّه في هذا الموقع خطب رسول الله ﷺ في الناس، وذكر فضل عليّ ـ رضي الله عنه[٢] ـ.

واتخذ الشيعة هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيُّعهم الغالي لعليّ وأحقيَّته للخلافة.

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي والبيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «على طريق الهجرة» للبلادي: (ص/٦١).

وحديث غدير خُمّ له طرق كثيرة بعضُها ثابت وبعضها ضعيف سنداً، وقد شكَّك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في صحة الحديث الوارد في خبر غدير خم: «مَن كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه»، أما بقية النصّ: «اللهمَّ والِ من نوالاه، وعاد من عاداه» فقد كذَّبه[1].

والحديث أخرجه الشيخان والإمام أحمد والطبراني والبيهقي وابن هشام[2].

والمكارمةُ كما قدَّمنا يصومون يوم غدير خُمّ الموافق عندهم ليوم الثامن عشر من ذي الحجة، والصيام هنا عندهم بمنزلة العيد والبهجة ولذا يقولون: «عيد غدير خُمّ»!.

● **الركن السادس عندهم: الحج:**

ـ الحج عند المكارمة لا يُقبل إلاّ إذا كان بصحبة الدَّاعي المكرمي المطلق أو من يُنيبه من الدُّعاة، ومَن حجَّ فحجُّه باطل عندهم!

ـ يعتمدون في معرفة دخول شهر ذي الحجة على «**جدول**

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨). و«منهاج السنة النبوية»: (٧/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٢) انظر: «أثر التشيُّع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري»: (ص/ ٢٩٩ ـ ٣٠٤) فقد ذكر فيه راقمه فوائد جيِّدة عن أسانيد الحديث ومتونه.

السنة الكبيسة»!.

- غالباً ما يُخالفون أهل السُّنَّة والجماعة وعامَّة المسلمين في وقت الوقوف بعرفة، فإمَّا أن يتقدَّموا عليهم يوماً أو يتأخَّروا يوماً، اعتماداً على جدولهم[1].

- إذا لم يتمكَّن المكارمة من الوقوف بعرفة على وفق جدولهم، فإنهم يقلبون حجَّهم إلى عمرة!

والذي يتأمل في كتب الإسماعيلية التي يعتقدها المكارمة؛ يلحظ أنَّهم يُؤوِّلون فريضة الحج تأويلاً يتفق ومبادئهم الفاسدة.

يقول أحد أئمة الإسماعيلية عن شروط الحج:

«البيت دليل على الإمام، والاستطاعة هي التأييد، والسبيل دليل على العلم»[2]!

ويقول آخر:

«حج البيت هو قصد إمام الزمان مفترض الطاعة.. والغرض من حجّ البيت معرفة الأئمة.. **والمراد من الزاد والراحلة في الحج هو العلوم**، ودليل معرفة الإمام،.. والإحرام هو اعتقاد معرفة الإمام»[3].

---

(١) «سلك الجوهر»: (ص/ ٨٢).

(٢) «الرسالة المذهبة»: (ص/ ٣١).

(٣) «الافتخار»: (ص/ ١٤٩).

ولهم في أنواع النُّسك تأويل عجيب، حيث قالوا:

«ومَن أفرد الحج كان مثله مثل مَن أفرد طلب معرفة الإمام، ومن أفرد العمرة كان مثله مثل مَن طلب معرفة حجة الإمام، وهو الذي يُقيمه في حياته ويصير الأمر إليه من بعده، ومَن قرنهما معاً كان مثله مثل مَن أفرد طلب معرفة حجة الإمام، وهو الذي يُقيمه في حياته ويصير الأمر إليه من بعده، ومن قرنهما معاً كان مثله مثل من طلب معرفة الإمام والحجة جميعاً، وذلك الذي جاء أنَّ فيه الفضل ظاهراً وباطناً»[1].

وقال جعفر بن منصور اليمن ـ عليه من الله ما يستحق ـ:

«المراد مِن الرَّفث والفسوق والجدال، أبوبكر وعمر وعثمان»!! ـ رضي الله عنهم ـ[2].

وهكذا على هذا النَّسق البذيء الفاسد يُؤوِّلون فريضة الحج وما يتعلَّق بها من شروط وآداب، فنسأل الله أن يهديهم أو يُسكِت نأمتهم!!

ومَن أراد الاستزادة من معرفة ذلك الغُثاء، فليقرأ «كتاب الافتخار» للسجستاني، و«الرسالة المذهبة» للنعمان بن محمد، و«كتاب الكشف» لجعفر بن منصور اليمن، وغيرها من مُصنَّفات الإسماعيلية المردة التي يطعنون بها بوضوح في

---

(١) «تأويل دعائم الإسلام»: (٣/ ١٥١).

(٢) «الكشف»: (ص/ ١٢٥).

دين الله تعالى، ويغمزون رسله عليهم الصلاة والسلام، ويسخرون من جند الله المؤمنين!!

● **الركن السابع عندهم: الجهاد:**

يتشدَّق المكارمةُ الإسماعيليةُ بالجهاد **وهم أبعدُ الناس عنه**، ولو صدقوا في حُبِّهم للجهاد الشرعي لقاموا بحقِّه ومستحقه من الحقوق والواجبات. ولن يتهيَّأ الإنسان للخلافة في الأرض ما لم يُطهِّر نفسه ويزكِّيها ويُصلحها اعتقاداً وعملاً. ومهما بلغ المرء شجاعةً وإقداماً فلن يصمد أمام جحافل الباطل وقد كدَّر دينه بالشبهات والشهوات وعبادة الهوى!

«وطهارة النَّفس تتحقق بإصلاح الفكر بالتعلُّم حتى يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل و القبيح في الفِعال، وإصلاح الشهوة بالعِفَّة حتى تسلس بالجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة، وإصلاح الحميَّة بإسلامها حتى يحصل التحكُّم، وهو كفّ النفس عن قضاء وطرِ الخوف وعن الحرص المذمومين، **وبإصلاح هذه القوى الثلاث يحصل للنَّفس العدالة والإحسان**»[1].

---

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة»: (ص/٣٨ ـ وما بعدها).

ولن يكون الإنسان ربّانيًا ما لم يُحقِّق مراتب جهاد النفس:

الأولى: مجاهدتُها على تعلُّم الهدى ودين الحق.

الثانية: مجاهدتُها على العمل به (أي بالهدى ودين الحق) بعد علمه.

الثالثة: مجاهدتُها على الدعوة إلَى الحق.

الرابعة: مجاهدتُها على الصبر على مشاقّ الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كُلَّه لله[1].

وقد حدَّثني مَن أثِقُ به ممَّن كان على مذهب المكارمة الإسماعيلية: أنَّ القوم في بلاء عظيم وفساد عريض في الدِّين والخُلُق واتِّباع الهوى!، فنسأل الله لنا ولهم الهداية وحُسن المنقلب إلى الله، فإنَّ الأمر كما قال أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في وصيَّته لعمر ـ رضي الله عنه ـ حين استخلفه: «إنَّ أوّل ما أُحذِّرك: نفسك التي بين جنبيك»[2]!

وقد استبشرنا خيراً بطائفةٍ من المسلمين الذين هجروا المذهب المكرمي الإسماعيلي، وأقلعوا عن أهله واستقاموا على صراط الله، وصاروا دُعاة خير وهداية إلى نور الله.

والمسلمون كلهم متفقون على أنَّ الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً، بعد الإيمان بالله ـ وأن القوة الرمي، وأنَّ الخيل معقود

---

(١) «زاد المعاد لابن القيم»: (٣/ ١٠ ـ ١١).

(٢) «جامع العلوم والحكم»: (ص/ ١٧٢).

في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأنَّه مَن مات ولم يغزُ، ولم يحدِّث نفسه بالغزو، مات على شُعبة من نفاق! لكن لم يقُل أحدٌ منهم إنَّ الجهاد من أركان الإسلام، والبيِّنة على المدِّعي!

فاتقوا الله يا دُعاة الجهاد وقد ضيَّعتم فرائض الله، واتقوا الله يا دُعاة الجهاد وقد انتهكتم محارم الله، واتقوا الله يا دُعاة الجهاد وقد تعدّيتم حدود الله!!

أين صارت «لا إله إلا الله» حين زعمتم أنَّها ليست من أركان الإسلام؟! أتُجاهِدون بلا توحيد، وبلا إيمان؟!

هـذان السـؤالان يجيـب عنهمـا «النُّعمـان القـاضـي» الإسماعيليّ بطريقة ذكيَّة وخبيثة، فيقول:

«وجدتُ الشهادة على فصلين: أحدهما نفي وثانيهما إثبات؛ فقوله (لا إله) نفي، و(إلا الله) إثبات، وكل فصل منهما كلمتان، الأولى منهما متصلة بالثانية، ودونها، والثانية أعلى منها، وكذلك الفصل الذي هو إثبات أعلى من الفصل الذي قبله، والذي هو النفي، فمثل الحدّ الأخير الذي هو الإثبات في الباطن، مثل على الحدّ العلوي ومثل الحدّ الذي هو النفي في الباطن مثل على الحدّ السفلي، ومثل الكلمة الأخيرة من الفصل الأخير (أي الإثبات) مثل على الحدود العلوية، ومثل التي قبلها مثل الحدّ الذي يليه، ومثل الكلمة

الثانية من الفصل الأول في الباطن مثل على الحدود السفلية، ومثل التي قبلها مثل على الحدّ المتصل به دونه.

فالكلمتان المتصلتان في حد الإثبات وحد النفي لكلمتين مستعملتين. وهما لا وإلاّ، والكلمتان المتصلتان بهما من الحدين أعلى وأجل، وهما إله والله، فقد دلّ ذلك على أشرف الحدود العلوية والسفلية، وإن كان كل واحد من الآخرين متصل به ودونه وأقلّ حروف منه، وأن الكلمة الأخيرة حملت ثلاثة أحرف جمعت فيها كافة حروف الشهادة وهي: الألف واللام والهاء... فالحد العلوي القلم، ودونه اللوح، وهما الحدّان العلويان أقام الله عز وجل بإزاء هذين الحدّين العلويين الروحانيين حدين آخرين سفليين جسمانيين، وهما الناطق والصامت... فالكلمات الأربعة للشهادة مثل لهذه الحدود الأربعة، فمن أقامهم وعرفهم وقبل عنهم وشهد لهم كان مكملاً لحدودهم من الشهادة، وقد جمعتهم الشهادة وجمعوا حدودها... ثم إذا نظرنا إلى عدد حروفها وما تدل عليه وتشهد له فكانت (لا إله إلا الله) سبعة فصول، وذلك دليل ومثل على سبعة نطقاء، والسبعة الأئمة في دور كل ناطق... والسماوات السبعة مثل للسبعة النطقاء، والأرضين السبعة مثل للحجج السبعة، وأمثالهم أيضاً السبعة النجوم المدبِّرات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥].

وحروف الشهادة اثنا عشر حرفاً، وأمثالهم في السموات البروج الاثني عشر، وأمثالهم من الأرض الجزائر الاثنتا عشرة، لكل واحد منهم جزيرة، وأمثالهم من الروحانيين الاثنا عشر الملائكة الرسل أولي الأجنحة؛ لأنهم برسالة صاحب الأمر يتوجهون، وأجنحتهم الدعاة؛ لأن كل واحد منهم يبعث إلى إحدى الجزائر حدًّا له؛ لقوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: ١]، فهم - أي الحدود الاثنا عشر في العالم السفلي - نظير الملائكة في العالم العلوي؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فالسبعة، والاثنا عشر مجموعة تسعة عشر، وهم الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٣٠]، وقد جمعتهم الشهادة، فمن عرفهم واعتقد بولايتهم، وعمل بما أخذه عنهم، فهو مؤمن من أهل الجنة مقبول الشهادة... وهذه هي الشهادة قد بيّنا حدودها على الأصول وتتصل بها شهادة ثانية على الفروع، وهي (محمد رسول الله) ﷺ، وهي ثلاث كلمات مثل الثلاثة الحدود الروحانيين العلويين الفرعيين، وهم: إسرافيل وميكائيل وجبرائيل، وهي كذلك مثل الثلاثة الحدود الجسمانيين الأرضيين بعد الناطق والأساس، وهم: الإمام والحجة واللاحق، وهي أيضاً ستة

فصول مثل النطقاء الستة أولي العزم وقد ذكرناهم، وهي كذلك اثني عشر حرفاً مثل اللواحق الاثني عشر، وقد مضى ذكرهم، فالشهادة لله عز وجل هي الدرجة العُليا، وهي الأصول والشهادة للرسول ﷺ هي الدرجة الدنيا، وهي الفروع.

وقد دخلت ـ أي الحدود العليا والدنيا ـ في حروف الشهادة»[1].

● ثانياً: منهجهم في المعاملات:

نهجت المكارمةُ الإسماعيليةُ في باب المعاملات نهجاً مُغايراً لغيرهم من جماعة المسلمين، وإن كانوا قد وافقوا أهل السنة والجماعة في جملة من مسائل باب المعاملات.

لكن المتأمِّل لمنهجهم في هذا الباب يلحظ ثلاثة أمور مهمة:

الأول: العناية برؤوس الأموال وكيفية استثمارها.

الثاني: تنمية مواردهم الاقتصادية.

الثالث: نُدْرة التكافل الاجتماعي.

---

(١) «أساس التأويل»: (ص/٣٨).

قلت: ولا تعليق عندي على هذا الهراء، ويصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠].

ولايخفىٰ على كل متأمّل أنَّ الإسماعيليَّة المكارمة وافقوا المسلمين السُّنَّة في كثيرٍ من معاملاتهم من بيعٍ وشراءٍ وإجارةٍ وهبة ووقف وشفعةٍ ووكالةٍ ورهن وضمان وحوالة ونكاح في الغالب، **إما تقيَّة منهم أو مجاراة لأهل السُّنَّة، أو من باب التوافق اللفظي فحسب.**

ونتيجة لانغماس دُعاة المكارمة الإسماعيلية في ملذَّات الدنيا الماديَّة والمعنوية، سعى دُعاتهم وراء البحث عن المال بأيِّ وسيلة كانت، وقد مهَّد لهم الحصول على الأموال سببان:

أ ـ الغلوّ المفرط في تقديس الأئمة والدعاة[1].

ب ـ الجهل وقِلَّة الوعي وطمس البصيرة.

---

(1) ولقد وضعوا للدعاة مراتب يتدرجون من خلالها، وهي: ١ ـ الإمام: وهو رأس الدعوة، ٢ ـ الحجة أو الباب: وهو نائب الإمام، ٣ ـ داعي الدعاة: وهو رئيس الدعاة والمسؤول عن توزيعهم، ٤ ـ داعي البلاغ: وهو المسؤول عن تبليغ الأوامر إلى الأقاليم، ٥ ـ الداعي المطلق: وله صلاحية السفر إلى الأقاليم دون أخذ رأي أحد، ٦ ـ الداعي المأذون: من يأخذ الميثاق على الداخلين في المذهب، ٧ ـ الداعي المحصور: وهو من يبلِّغ في منطقته فقط، ٨ ـ الجناح الأيمن، ٩ ـ الجناح الأيسر: وهما خادمان للداعي المطلق أثناء الدعوة، ١٠ ـ المكاسر: من يقوم بفقه الدعوة والجدل والمناظرة، ١١ ـ المطالب: من يقوم بالتجسُّس لمصلحة الدعوة، ١٢ ـ المستجيب: أول مرتبة يصل إليها المنتسب إلى الدعوة بعد أخذ الميثاق عليه.

ونتيجة لهذين السببين إنشلّت عندهم الملكية الفرديّة التي قرّرها الحقُّ سبحانه وتعالى في قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

وإذا كان الاقتصاديون الإسلاميون يُقسِّمون الملكية إلى أربعة أقسام:

١ ـ الملكية الفرديّة.

٢ ـ الملكية العامّة.

٣ ـ الملكية المزدوجة.

٤ ـ ملكية الدولـة[1].

فإنَّ المكارمة الإسماعيلية عبثوا بهذه الملكيّات الأربع كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، والأدهى والأمرّ أنّهم أسّسوا خزينة مالية خاصة بالمذهب أطلقوا عليها: «بيت المال»، وجعلوا لها مصارف وإيرادات من أجل ابتزاز أموال الناس بالباطل!

ونعود الآن إلى النِّقاط الرئيسة التي أشرنا إليها في مُستَهلّ هذا المبحث؛ لنسلِّط عليها شيئاً من البيان:

أولاً: العناية برؤوس الأموال وكيفيّة استثمارها:

مُنذ أمدٍ بعيد ـ أي منذ ألف سنة ـ والإسماعيلية عاكِفون

---

(١) «الموسوعة العربية العالمية» (٢/٤٢٣).

على جمع رؤوس الأموال من مصادر مختلفة، لا يفترون ولا يملّون من تأسيس ثرواتهم الضخمة في جميع الأقطار التي زُرِعَت فيها سموم الإسماعيلية: في مِصر والمغرب وباكستان والهند واليمن وإيران والعراق.

ورؤوس الأموال إمّا: أموال نقديّة، أو عقارات، أو محاصيل زراعية، أو غيرها من أنواع الثروات والأموال.

ويذكر بعضُ المقرَّبين من المكرميّ ـ في بعض كتاباته ـ أنَّ الأموال التي في حساب الداعي المكرميّ تُقَدَّر بعشرات الملايين، وتلك الأموال تُعامَل بسريَّة تامَّة وتُحْفَظ بأوجه مُختلِفة، بعضها في الداخل والآخر في الخارج.

وهناك تنسيق في جميع الأقطار الإسماعيليّة لتنمية ثرواتهم عبر اجتماعات موسميّة لرؤساء المذهب. وكثير من تلك الاجتماعيات يكون طابعها الكِتمان والتحفُّظ والسريَّة.

والمُقرَّبون من الداعي المكرمي يذكرون أنَّ رؤوس الأموال في الخارج في نماء وازدياد منقطع النَّظير، فهناك في بريطانيا وأمريكا وفرنسا ومصر والهند وباكستان وسوريا واليمن، يملك المكارمةُ آلاف الخيول التي يتمُّ التجارة بها مع رجال الأعمال والمال!

ومن أوابد المكارمة هوسهم في شراء الأراضي التي تكون بالقرب من مواقع أثرية إسماعيلية كشراء بعض وجهائهم

أراضي «جبل تَصْلال» بقيمة ثلاثة ملايين ريال لا غير!

و«تصلال»: **جبل يقع جنوب «ألعان» شمالي وادي جنوب الجزيرة، وجنوبي (وادي حُبونة)، ويُقال إنَّه كان كعبة عندهم في الجاهلية، وكانوا يزورونه ويُعظِّمونه، فهو عندهم مزار معروف سابقاً، وكان له عندهم شأن**[١].

وقد ثبت عند كل مَن راقب المكارمة عن كَثَب أنَّهم يمدُّون رؤوس الشعوذة والسَّحرة منهم بمبالغ لا حصر لها؛ لأنَّ أُولئك خُدَّام للمذهب المكرمي الإسماعيليّ لا غِنى لهم عن المال ولا سبيل لتذليل الصِّعاب إلاَّ به على حدِّ زعمهم!

لقد سخَّر الدعاةُ من المكارمة الإسماعيلية كل إمكاناتهم وطاقاتهم لتملُّك الأموال لضمان قوتهم وحمايتة عقيدتهم من الاعتماد على أموال أجنبيَّة. ومن أجل ذلك وزَّعوا ثرواتهم على الأقطار التي لهم فيها أتباع ورعاع، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- بناء قصر فخم في (سيدي جابر) بمصر.
- بناء مجمع تجاري ضخم (بمدينة مصر الجديدة) بمصر.
- بناء مجمع تجاري ضخم في (بدرآغا) بسورات بالهند.
- بناء ملاجئ للإقامة المؤقتة في اليمن.

---

(١) «معجم جبال الجزيرة العربية»: (٦/٢). وانظر تحقيقاً نافعاً عن هذه المسألة في كتاب «بين مكة وحضرموت للبلادي»: (ص/٩٦ ـ وما بعدها).

ثانياً: تنمية مواردهم الاقتصادية:

لم يقنع دُعاة المكارمة بالأموال الواسعة التي جَمَعوها مِن شتَّىٰ بِقاع الدنيا، بل شَرَعوا أبواباً جديدة يَلِجُون من خلالها إلى كسب المزيد من الثروات الطائلة، وقد تفنَّنوا في هذا الجانب أيَّما تفنُّن، ويظهر ذلك جليًّا في ثلاث وسائل:

الأولى: ابتزاز الأموال عن طريق الغلوّ في أئمتهم ودُعاتهم.

الثانية: ابتزاز الأموال عن طريق فرض الرسوم والضرائب.

الثالثة: ابتزاز الأموال عن طريق الزكوات والكفَّارات والتبرعات.

ونشرع الآن في بيان تلك الوسائل، ومن الله نستمدُّ العون والتوفيق:

- **ابتزاز الأموال عن طريق الغلوّ في أئمتهم ودُعاتهم:**

من الركائز الرئيسة في مذهب المكارمة الإسماعيلية: الغلوّ في أئمتهم ودُعاتهم، وتقديسهم والاعتقاد بعصمتهم، واشترطوا من أجل ذلك وجوب معرفة الإمام، واستدلوا على ذلك بحديث موضوع جاء فيه: «**مَن مات ولم يعرف إمام**

زمانه: مات مِيتةً جاهلية»[1]. وقد وصف المكارمةُ أئمتهم بصفات الإلهيَّة!!، وقالوا إنَّ أئمتهم هم «يدُ الله» ـ تعالى ـ، و«جنب الله» ـ تعالى ـ، وأنَّهم هم الذين يُحاسبون الناس يوم القيامة!، وأنهم الصراط المستقيم، والذِّكر الحكيم[2]!!

وقديماً مدح شاعرهم «ابن هانئ الأندلسي» (٣٦٢هـ)؛ «المعزّ لدين الله العُبيْديّ» (٣٦٥هـ) فقال فيه:

ندعوه مُنْتقِماً عزيزاً قادراً   غفَّار مُوبقة الذُّنوب صفوحاً!

وقال ـ قبَّحه الله ـ:

وكـأنَّمـا أنـت النبـيُّ محمـدٌ   وكـأنَّمـا أنصـارُك الأنصـارُ
هذا الذي تُجدي شفاعتُه غداً   حقًّا وتخمدُ أن تراهُ النَّار!![3]

وقد نتج عن ذلك كله إخراج المال من جيوب المغفَّلين ووضعها بين يدي الإمام المكرميّ!!، وقد وصل بهم الحال إلى أن اشتروا أنفسهم وأعتقوها من عذاب الله ـ على حدِّ زعمهم ـ بعد أن دفعوا الأموال الطائلة في حِساب المكرميّ!. فالداعي ـ على حدّ زعمهم ـ يُعتق من عذاب القبر وعذاب

---

(١) أخرجه الكليني في «الأصول من الكافي»: (١/ ٣٧٧)، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى: «والله ما قاله رسول الله ﷺ هكذا»، وأقرّه الذهبيُّ في «مختصر منهاج السنة»: (ص/ ٢٨)، وانظر: «السلسلة الضعيفة والموضوعة»: (١/ ٣٥٤).

(٢) «تاريخ الدعوة الإسماعيلية»: (ص/ ٤٠).

(٣) «ديوان ابن هانئ الأندلسي»: (٥٠، ٩٨).

النَّار ويُسقط التكاليف!!.

وقد بلغ عدد الأموال التي يملكها الدَّاعي ـ من جرَّاء ذلك الابتزاز ـ مبلغاً عظيماً، فإلى اللهِ المشتكىٰ!.

● **ابتزاز الأموال عن طريق فرض الرسوم والضرائب:**

قرَّر الداعي المكرمي على أتباع طائفته قائمةً من المقرَّرات الضريبيَّة، يمحقُ بها أموالهم، وينقضُ بها ثرواتهم، ويُسقط بها مروءتهم!

فهناك ضريبة على الأمّ عندما تحمل الجنين، وضريبة أُخرى إذا مات قبل ولادته، وضريبة بعد ولادته، وضريبة عند اكتمال نموِّه!!

وزاد الطين بلّة فرسم عليهم مُكوساً وإتاواتٍ، ينتزعُها منهم قهراً تارة، وفي بعض المرَّات يُغريهم بالتطهير من الذنوب، وبتكفير السيئات؛ فيخطف أموالهم دهاءً ومكراً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد مضى معنا الإشارة إلى الرسوم والضَّرائب التي رسمها المكرميُّ الإسماعيلي على أتباعه؛ فلا نُعيدُها!![1].

● **ابتزاز الأموال عن طريق الزكوات والكفَّارات والتبرعات:**

وهذه ثالثة الأثافي، يتزلَّف بها الأغنياء مفاخرةً، ويتوسَّلُ

---

(١) «الإسماعيلية المعاصرة»: (ص/١٥٨ ـ وما بعدها).

بها المعْدَمون طمعاً في نيل الأماني من داعيهم وإمامهم الذي يعدهم بالفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١٢٠].

والزكوات عندهم تُقدَّر بـ(٥٪) على الأموال، ثم صدر مرسوم مكرميّ بتخفيفها إلى النِّصف، ومن ثمَّ فَرَضَ عليهم مُكوساً بديلة كالمخالصة وهي خاصَّة بالنساء، وتعني إسقاط حق الزوج المتوفَّى وهو ساخط على زوجته. ومن المكوس: «الصِّلة» وهي من مصادر التموين عند المكرمي يدفعها أتباعه كسائر الضرائب.

- **وهناك بدل الصلاة في الأماكن الفاضلة**: وهي مبالغ ضخمة يدفعها أتباعه له لحصول أجر الصلاة في تلك الأماكن كـ: المدينة، والعراق، ومكة، وغيرها.

- **وهناك الكفَّارات والنُّذور** التي تُقدَّم للداعي المكرمي رجاء القبول والمغفرة!!

- **وهناك أيضاً أموال العُشْر** (١٠٪) مما يكسب التاجر والموظف والفلاَّح والعامل، كل فرد منهم يُحاسِب نفسه في كل شهر أو يوم أو سنة ويبعث بنسبته إلى الإمام!![١].

---

(١) وهذه ليست عند كُل الطوائف الإسماعيلية، ولهذا لا يلتزمُ بها المكارمةُ دائماً، فتدبَّر.

ـ ومن الرسوم المقرّرة عليهم: كفّارة ما بعد الموت، والصّلاة على الميّت، وحق العقّ، والتسليم. وقد مرّ معنا ذكرها في الصفحات الفائِتة، فليَعُد إليها مَن شاء!!

وقد تكدّست الثروات في «خزينة المال» عند المكرميّ، مما يُجْبيه من أموال المغفّلين والمتزلّقين الذين يُنفقون أموالهم ﴿لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وتلك الأموال الوفيرة ـ لو عقل المكرميُّ وأتباعه ـ هي كسب خبيث وصدقةٌ سُحْت؛ تجلب سخط الله وغضبه، وتنزع البركة من الأعمار، وتُورث قسوة القلب والحِرمان من الطيبات، نسأل الله العافية!

وقد نبّـه الله تعالى على خطورة ذلك المسلك في غير موضع من كتابه فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: «**إنَّ رجالاً يتخوَّضُون في مال الله بغير حق، فلهم النَّار يوم القيامة**» أخرجه البخاري من حديث خولة الأنصارية ـ رضي الله عنها ـ.

● **وقفات مع بعض الآثار والروايات التي يستدلّ بها الشيعةُ**

الغُلاةُ فيما يُسمَّى بالبدعة الماليّة:

المقصود بـ«البدعة المالية»: الخُمس الذي تدفعه الشيعة إلى أئمتهم ودُعاتهم، ويكون فرضاً عليهم في مكاسبهم التجارية والصناعية والزراعية وغيرها[1].

ودفع الخُمس إلى الأئمة ـ عندهم ـ من الأُصول الدينيَّة، والأُسس المذهبيَّة التي لا مَناص من الإيمان والتسليم بها. وقد روى ابن بابويه القمي: «الخُمس لنا فريضة».

ومانع الخمس عندهم من أكفر الكافرين، لِمَا رواه الحرّ العاملي: «عن أبي بصير قال: قلت: ما أيسر ما يدخلُ به العبدُ النّار؟ قال: مَن أكل من مال اليتيم درهماً، ونحنُ اليتيم»!، وروا أيضاً: «ومن أكل من مالِنا شيئاً فإنما يأكل في بطنه ناراً وسيصلىٰ سعيراً»!.

ومَن بَذَلَ الخُمس من ماله فقد استحقَّ مغفرة الذنوب بزعمهم لِما روى الطُّوسي: «تمحيصُ ذنوبكم وما تُمهِّدون لأنفسكم ليوم فاقتكم».

ولا عجب أن يستحلّ الشيعةُ الغُلاة أموال المسلمين بحجة أنَّ كل ما في الأرض؛ فهو مالُهم وحلالهم وإرثهم، لما روى الطوسي: «الأرضُ كلها لنا، فما أخرج الله منها من شيءٍ فهو

---

(١) انظر رسالة: «البدعة المالية عند الشيعة الإمامية» ففيها فوائد موثَّقة.

لنا»[1].

ومن أجل ذلك بات «ابن العلقميّ» (٦٥٦هـ) ـ الذي كان وزيراً للمعتصم أربع عشرة سنة ـ مُعظَّماً عند غُلاة الشيعة، وعدّوا من مناقبه: تيسير إسقاط دولة الخلافة وقتل أهل الإسلام، ونهب ثروات البلاد!، وكذلك الحال مع «نصير الدين الطُّوسي» (٦٧٢هـ) وأضرابهما.

وقد تدرَّج الشيعةُ الباطنيّةُ في فرض الخمس على أتباع مِلَّتهم، فأوّل ما فرضوا: (الغطرة) وهي درهم عن كل واحدٍ من الرجال والنِّساء، ثم فرضوا: (البلغة) وهي سبعة دنانير، ثم (الخمس)!.

وقد قرّر بعضُ أهل الإنصاف منهم أنَّ (الخمس) الذي فرضه الشيعةُ الباطنيةُ على أتباعهم هو ابتزاز وافتراء. عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أباعبدالله يقول: «ليس الخمس إلا في الغنائم خاصة»[2].

وعن سماعة عن أبي عبدالله وأبي الحسن، قال: سألتُ أحدهما عن الخمس؟ فقال: ليس الخمس إلا في الغنائم»[3].

وقال مُصنِّف كتاب (يا شيعة العالم استيقظوا).

---

(١) «المصدر السابق»: (١٣ ـ ٣٠).
(٢) «من لا يحضره الفقيه»: (١/١٣).
(٣) «تفسير العياشي»: (٢/٦٢).

«على الشيعة أن تعلم عِلم اليقين أنَّ الخمس في أرباح المكاسب بِدعة ابتدعها الفقهاء»[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في ردّه على الرافضة في كثير من مُصنَّفاته أنَّ (الخمس) بدعة لم يقل بها أحد من أهل البيت ولا من الأئمة الكِبار عند الشيعة، فضلاً عن علماء السُّنَّة في القرون المفضَّلة ومن جاء بعدها[2].

ورحم الله ابن حزم حين قال: «لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتِنا فهم لا يُصدِّقونا، ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحنُ لا نُصدِّقها، وإنما يجب أن يحتج الخصومُ بعضهم على بعض بما يُصدِّقه الذي تُقام عليه الحجة سواء صدَّقه المحتج أو لم يُصدِّقه»[3].

لكن حال القوم كما وصف الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢].

ثالثاً: نُدْرة التكافل الاجتماعيّ:

الوصب الذي أجهد المكارمة الإسماعيلية ـ فجعلهم

---

(١) «يا شيعة العالم استيقظوا»: (ص/٦٦).

(٢) «منهاج السنة»: (٣/١٥٤).

(٣) «الفِصل في المِلل»: (٤/١١٢).

يلهثون في وعثاء الحياة وكلف العيش - لم يعثروا على مَن يرفع رُكامه، أو يكشف عناءه! فمنذ القرن الثالث الهجريّ إلى اليوم والإسماعيلية بأفرادها لم تذُق جُمامة البال ولا دعة الضمير!

إنَّ أفراد المجتمع الإسماعيلي في كل أقطار الدنيا؛ يفتقرون إلى التعاون والتلاحم والتعاضُد والتأزر، فلا عطف بينهم ولا توادّ ولا تراحم.

فالزكوات والمكوس والرسوم والضرائب والإتاوات التي يُقْهرون عليها من داعيهم وإمامهم؛ محبوسة ورهينة لأغراض خاصّة لا تتجاوزها ولا تتقدَّم عليها!

روى بعضُ الثقات أنَّ كثيراً من مُعوزي المكارمة طرقوا باب الدَّاعي المكرميّ يستجدونه بعض المال لسدِّ رمقهم، فما كان مِنه إلا أن وبّخهم وقهرهم وطردهم وشهَّر بهم عند أتباعه!!

ومِثلُ هذه الحادثة مألوفة ومعروفة في المجتمع المكرميّ الإسماعيلي؛ لأنَّ إمامهم وداعيهم:

كحمــارِ السَّــوء إنْ أشبعتَــهُ   عضَّ من نال، وإن جاع رمح![1]

والمقصــود أنَّ الإسمــاعيليــة أبعــدُ النَّــاس عــن التكــافــل الاجتماعيِّ والأخلاقيِّ والمعيشيِّ؛ لأنَّهم لم يهتدوا بنور

---

(١) القائل: عبدالله بن همّام السلولي (١٠٠هـ).

الوحي الذي لا يرضى أن يبيت مسلمٌ وجاره جائع!، وقد ثبت عنه ﷺ أنَّه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضاً**» أخرجه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

من أجل ذلك كله ظهر الفقر والبؤس وسوء الحال في صفوف المكارمة، وانشلَّت عندهم الملكية بأنواعها الأربعة التي أشرنا إليها سابقاً، فالملكية الفردية أضحت خلاءً من معاني الإيثار والكسب الذي يُحتِّمُ على صاحبه البذل في وجوه الخير ويزكّي ماله بالإنفاق ابتغاء وجه الله، وهذا كما أسلفنا من دونه خرط القتاد، فالداعي المكرمي يستولي على الحظ الأوفر من ثروات أتباعه بالابتزاز والحِيل الفاسدة والوعود البرّاقةِ الكاذبة بمغفرة السيئات وتفريج الكربات، فإلى الله المشتكىٰ!.

والملكية العامَّة عند المكارمة الإسماعيلية منبوذة ومبتورة إذ المهيمنُ عليها في أقطار الإسماعيلية: المكرميُّ ودُعاتُه ونُوّابُهُ!. ولا جرم أنَّ الملكية العامة لها وظيفتان:

الأولى: إيجاد مصدر عامّ لتمويل النفقات العامة.

الثانية: التوازن الاجتماعي، وإشباع حاجات الفِئات

الفقيرة[1].

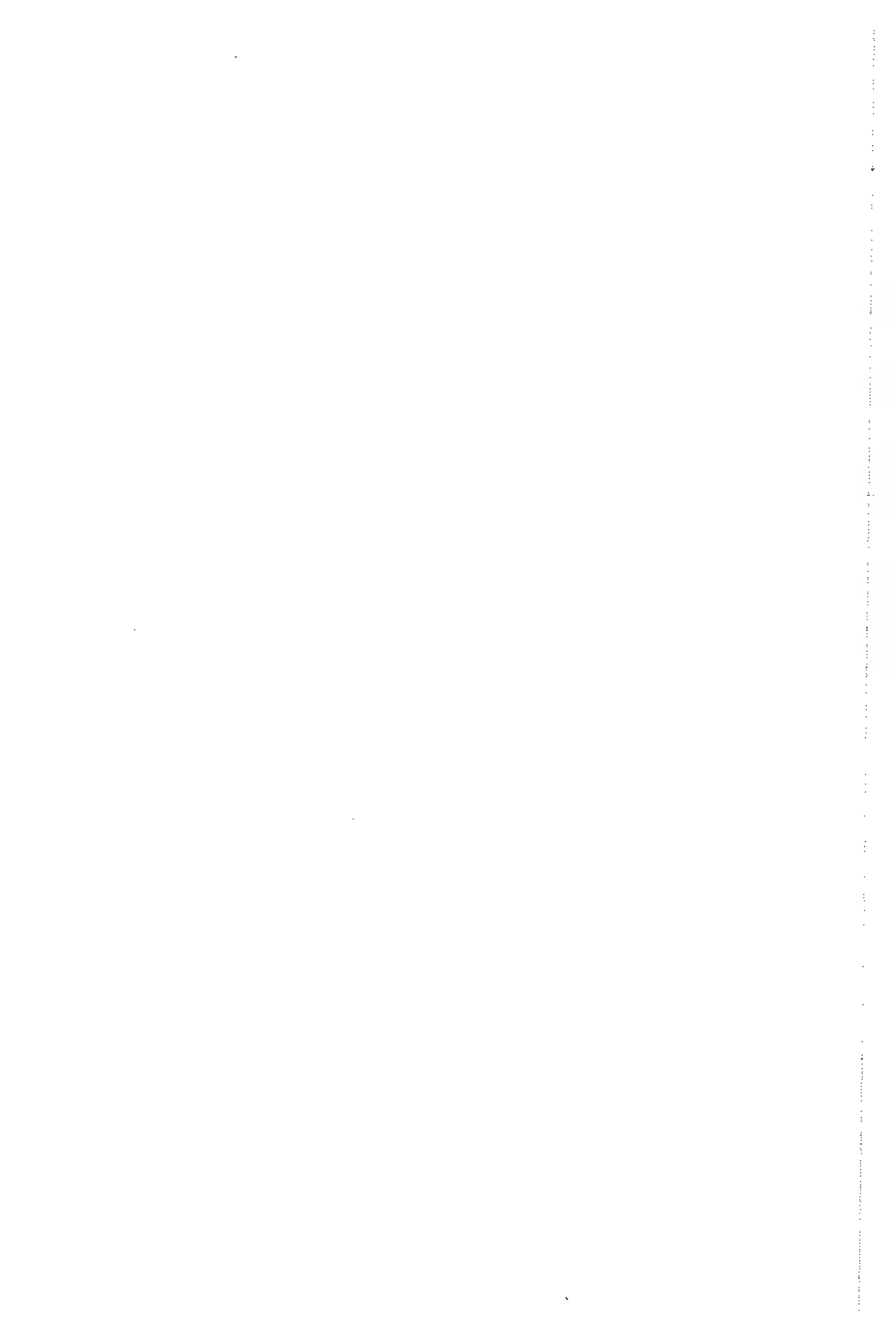
وكلا الوظيفتين لا وزن لهما، بل لا وجود حقيقيّ لمسمَّاهما في المجتمع المكرمي الإسماعيلي.

أما المِلكية المزدوجة وهي استثمار أرباح الأموال المقسومة بين أصحاب المِلكية الخاصة والعامة، فأترك الحكم عليها لِفطنة القارئ والمتأمِّل في واقع المكارمة الإسماعيلية!

وأخيراً ملكية الدولة وهي التي يُراوغ المكارمةُ حولها ويودُّون الحصول على جزءٍ منها بالطُّرق الملتوية والذرائع المبتكرة، ويأبىٰ اللهُ لهم ذلك، فالحكومات الإسلامية التي تطبِّق شرع الله تراقبهم عن كثب، وتحرص على نبذ العُنف ومداراة السُّفهاء، والحمد لله على كل حال.

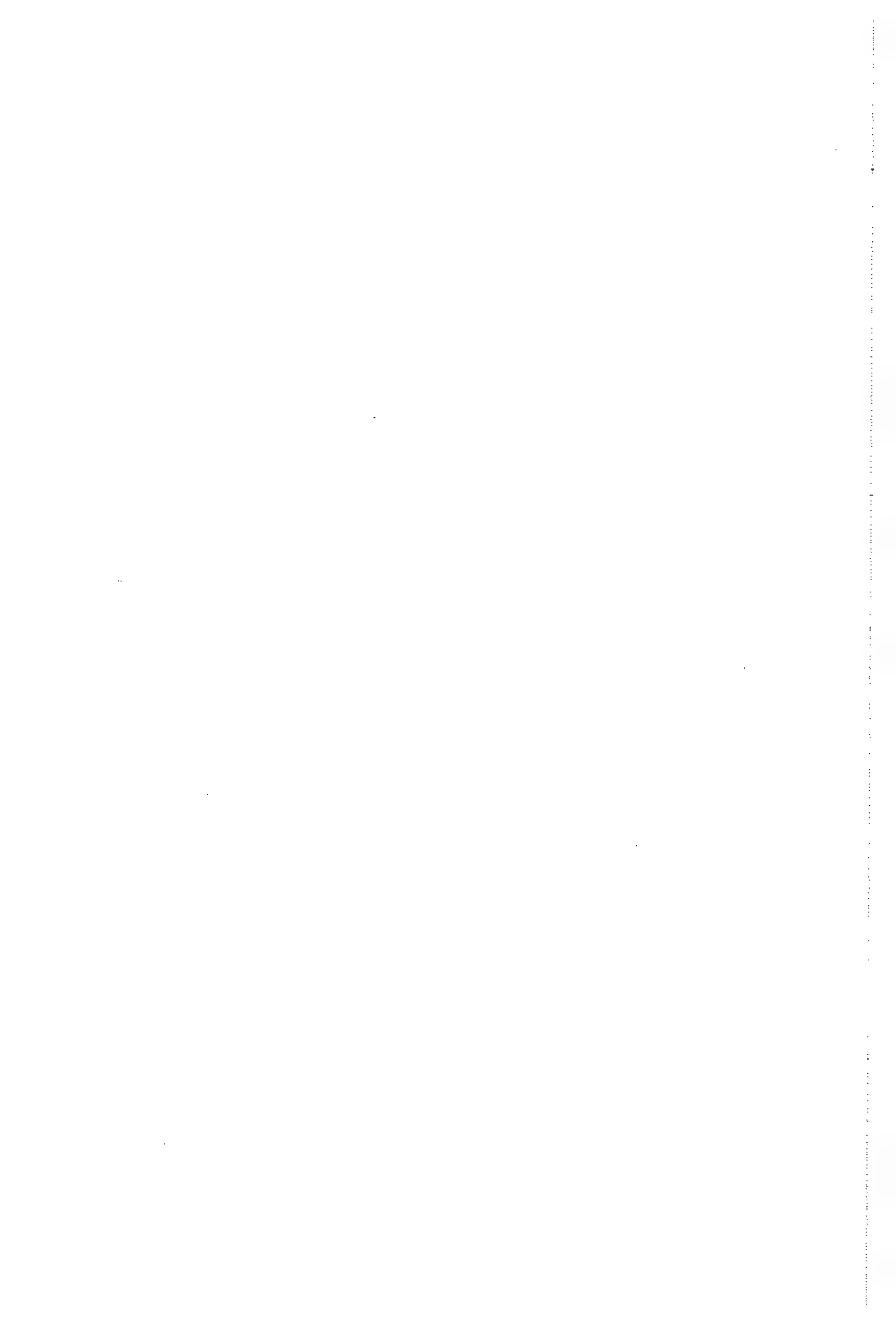
* * *

(١) «الموسوعة العربية العالمية»: (٢/ ٤٢٤).



الفصل الخامس

- موقف أهل السنة والجماعة من المكارمة.



الفصل الخامس

موقف أهل السنة والجماعة من المكارمة

لا شكَّ أنَّ الجرم الخطير الذي انزلق فيه المكارمةُ الإسماعيليَّةُ؛ كان يستند إلى قواعد ومناهج مختلطة وأنظمة بشريَّة زائفة، حتى أضحت السُّنَّة هي البدعة والبدعة هي السنة عند كثير من الفِئام!

وقد أفصح شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن هذاالمعنى فقال:

«لكن أعظم المهمّ في هذا الباب وغيره تمييز السُّنَّة من البدعة؛ إذ السُّنَّة ما أمر به الشارعُ، والبدعةُ ما لم يشرعه من الدِّين. فإنَّ هذا الباب كثرُ فيه اضطراب الناس في الأُصول والفروع، حيث يزعم كل فريق أنَّ طريقه هو السُّنَّة، وطريق مخالفِهِ هو البدعة، ثم إنَّه يُحكم على مخالفِه بحكم المبتدع، فيقوم من ذلك الشرِّ ما لا يُحصيهِ إلا الله»[(١)].

والمتأمِّل في مُعْتقد المكارمة الإسماعيلية يلحظ أنَّهم يستندون إلى قواعد وظَّفوها في عباداتهم ومعاملاتهم، وتلك

---

(١) «الاستقامة»: (١/١٣).

القواعد إمّا مُخالِفة مخالفة صريحة لمذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وإما مُوافِقة لمذهب أهل السنة، لكن استدلُّوا بها في غير موضعها.

وهذه إشارة موجزة إلى بعض القواعد التي انطلق منها مُعتقد المكارمة:

- **الأولى**: التقرُّب إلى الله بما لم يشرع.
- **الثانية**: الخروج على نظام الدِّين.
- **الثالثة**: الغلوّ في العبادة.
- **الرابعة**: الإلزام بشيءٍ من العادات والمعاملات.
- **الخامسة**: الإتيان بشيءٍ من أعمال الجاهلية.

ومَن رام الاستفاضة حول هذه القواعد فليراجع كتاب «الاعتصام» للشاطبي، وكذلك «الموافقات» له أيضاً، و«اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ـ نوَّر الله ضريحهما ـ وغيرها من المصنَّفات التي عنيت بالردّ على أهل البدع والأهواء.

أما موقف أهل السُّنَّة والجماعة من المكارمة الإسماعيليَّة **فقد بسطه أتمّ البسط شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مواضع مُتفرِّقة من مُصنَّفاته بما لا مزيد عليه، فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهؤلاء «بنو عبيد القداح» ما زالت علماء الأمة المأمونون

علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، لا يذمونهم بالرفض والتشيع، فإن لهم في هذا شركاء كثيرين، بل يجعلونهم من «القرامطة الباطنية» الذين منهم الإسماعيلية والنصيرية، ومن جنسهم الخرمية المحمِّرة ـ وأمثالهم من الكفار ـ المنافقون، الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ولا ريب أن اتباع هؤلاء باطل، وقد وصف العلماء أئمة هذا القول بأنهم الذين ابتدعوه ووضعوه، وذكروا ما بنوا عليه مذاهبهم، وأنهم أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة، فوضعوا لهم «السابق» و«التالي» و«الأساس» و«الحجج» و«الدعاوى» وأمثال ذلك من المراتب. وترتيب الدعوة سبع درجات، آخرها «البلاغ الأكبر، والناموس الأعظم» مما ليس هذا موضع تفصل ذلك.

وإذا كان كذلك فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان فأقلّ ما في شهادته أنَّه شاهد بلا علم، قافٍ ما ليس له به علم؛ وذلك حرام باتفاق الأمة، بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق، ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ، دليل على بطلان نسبهم الفاطميّ؛ فإن من يكون من أقارب النبي ﷺ القائمين بالخلافة في أمته لا تكون معاداته لدينه كمعاداة هؤلاء، فلم يعرف في بني هاشم، ولا ولد أبي طالب، ولا بني أمية من كان خليفة وهو معاد لدين الإسلام، فضلاً عن أن يكون معادياً كمعاداة هؤلاء، بل أولاد الملوك الذين لا دين لهم. فيكون

فيهم نوع حميَّة لدين آبائهم وأسلافهم، فمن كان من ولد سيد ولد آدم الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق كيف يعادي دينه هذه المعاداة؛ ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الإسلام باطناً وظاهراً معادين لهؤلاء، إلا من هو زنديق عدو الله ورسوله، أو جاهل لا يعرف ما بعث به رسوله. وهذا مما يدل على كفره، وكذبهم في نسبهم.

وأما سؤال القائل: «إنهم أصحاب العلم الباطن» فدعواهم التي ادعوها من العلم الباطن هو أعظم حجة ودليل على أنهم زنادقة منافقون، لا يؤمنون بالله، ولا برسوله، ولا باليوم الآخر، فإن هذا العلم الباطن الذي ادّعوه هو كفر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى، بل أكثر المشركين على أنه كفر أيضاً؛ فإن مضمونه أن للكتب الإلهية بواطن تخالف المعلوم عند المؤمنين في الأوامر، والنواهي، والأخبار.

أما «الأوامر» فإن الناس يعلمون بالاضطرار من دين الإسلام أن محمداً ﷺ أمرهم بالصلوات المكتوبة، والزكاة المفروضة، وصيام شهر رمضان، وحج البيت العتيق.

وأما «النواهي» فإن الله تعالى حرَّم عليهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم، والبغي بغير الحق، وأن يشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطاناً، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون، كما حرَّم الخمر، ونكاح ذوات المحارم، والربا والميسر، وغير

ذلك. فزعم هؤلاء أنه ليس المراد بهذا ما يعرفه المسلمون، ولكن لهذا باطن يعلمه هؤلاء الأئمة الإسماعيلية، الذين انتسبوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، الذين يقولون: إنهم معصومون، وأنهم أصحاب العلم الباطن، كقولهم: **«الصلاة» معرفة أسرارنا، لا هذه الصلوات ذات الركوع والسجود والقراءة. و«الصيام» كتمان أسرارنا ليس هو الإمساك عن الأكل والشرب والنكاح. و«الحج» زيارة شيوخنا المقدسين. وأمثال ذلك.** وهؤلاء المدعون للباطن لا يوجبون هذه العبادات ولا يحرمون هذه المحرمات، بل يستحلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونكاح الأمهات والبنات، وغير ذلك من المنكرات، ومعلوم أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، فمن يكون هكذا كيف يكون معصوماً؟!!

وأما «الأخبار» فإنهم لا يقرُّون بقيام الناس من قبورهم لرب العالمين، ولا بما وعد الله به عباده من الثواب والعقاب، بل ولا بما أخبرت به الرسل من الملائكة، بل ولا بما ذكرته من أسماء الله وصفاته، بل أخبارهم الذي يتبعونها أتباع المشَّائين التابعين لأرسطو، ويريدون أن يجمعوا بين ما أخبر به الرسل وما يقوله هؤلاء، كما فعل أصحاب «رسائل إخوان الصفا» وهم على طريقة هؤلاء العبيديين، ذرية «عبيد الله بن ميمون القداح». فهل ينكر أحد ممن يعرف دين المسلمين، أو اليهود، أو النصارى: أنَّ ما يقوله أصحاب

«رسائل إخوان الصفا» مخالف للمِلل الثلاث، وإن كان في ذلك من العلوم الرياضية، والطبيعية، وبعض المنطقية، والإلهية، وعلوم الأخلاق، والسياسة، والمنزل، ما لا ينكر؛ فإن في ذلك من مخالفة الرُّسل فيما أخبرت به وأمرت به، والتكذيب بكثير مما جاءت به، وتبديل شرائع الرسل كلهم بما لا يخفى على عارف بملة من الملل. فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث.

ومن أكاذيبهم وزعمهم: أنَّ هذه «الرسائل» من كلام جعفر بن محمد الصادق. والعلماء يعلمون أنها إنما وضعت بعد المائة الثالثة زمان بناء القاهرة، وقد ذكر واضعها فيها ما حدث في الإسلام من استيلاء النصارى على سواحل الشام، ونحو ذلك من الحوادث التي حدثت بعد المائة الثالثة. وجعفر بن محمد ـ رضي الله عنه ـ توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، قبل بناء القاهرة بأكثر من مائتي سنة؛ إذ القاهرة بنيت حول الستين وثلاثمائة، كما في «تاريخ الجامع الأزهر». ويُقال: إن ابتداء بنائها سنة ثمان وخمسين، وأنه في سنة اثنين وستين قدم «معد بن تميم» من المغرب واستوطنها.

ومما يُبيِّن هذا أنَّ المتفلسفة الذين يعلم خروجهم من دين الإسلام كانوا من أتباع مُبشِّر بن فاتك أحد أمرائهم، وأبي علي بن الهيثم اللذين كانا في دولة الحاكم نازلين قريباً من الجامع الأزهر. وابن سينا وابنه وأخوه كانوا من أتباعهما:

قال ابن سينا: وقرأت من الفلسفة، وكنت أسمع أبي وأخي يذكران «العقل» و«النفس»[1]، وكان وجوده على عهد الحاكم، وقد علم الناس من سيرة الحاكم ما علموه، وما فعله هشكين[2] الدرزي بأمره من دعوة الناس إلى عبادته، ومقاتلته أهل مصر على ذلك، ثم ذهابه إلى الشام حتى أضل وادي[3] التيم بن ثعلبة. والزندقة والنفاق فيهم إلى اليوم، وعندهم كتب الحاكم، وقد أخذتها منهم، وقرأت ما فيها من عبادتهم الحاكم، وإسقاطه عنهم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وتسمية المسلمين الموجبين لهذه الواجبات المحرمين لما حرم الله ورسوله بالحشوية. وأمثال ذلك من أنواع النفاق التي لا تكاد تحصى.

وبالجملة «فعلم الباطن» الذي يدعون مضمونه الكفر بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بل هو جامع لكل كفر، لكنهم فيه على درجات فليسوا مستوين في الكفر؛ إذ هو عندهم سبع طبقات، كل طبقة يخاطبون بها طائفة من الناس بحسب بعدهم من الدين وقربهم منه.

---

(١) انظر كتابي: «حقيقة معتقد ابن سينا» فقد وضّحت فيه عقيدة الرجل وكشفتُ فيه عن آرائه.

(٢) كذا بالأصل، والصواب: «نشتكين»، واسمه «محمد بن إسماعيل» (٤١١هـ).

(٣) كذا بالأصل، والصواب: «حتى أضل أهل وادي..» وهذا الوادي يعرف اليوم بـ«الشوف».

ولهم ألقاب وترتيبات ركبوها من مذهب المجوس، والفلاسفة، والرافضة، مثل قولهم: «السابق» و«التالي» جعلوهما بإزاء «العقل» و«النفس» كالذي يذكره الفلاسفة، وبإزاء النور والظلمة كالذي يذكره المجوس. وهم ينتمون إلى «محمد بن إسماعيل بن جعفر» ويدعون أنه هو السابع ويتكلمون في الباطن، والأساس، والحجة، والباب، وغير ذلك مما يطول وصفهم.

ومن وصاياهم في «الناموس الأكبر، والبلاغ الأعظم» أنهم يدخلون على المسلمين من «باب التشيع» **وذلك لعلمهم بأن الشيعة من أجهل الطوائف، وأضعفها عقلاً وعلماً، وأبعدها عن دين الإسلام علماً وعملاً**، ولهذا دخلت الزنادقة على الإسلام من باب المتشيعة قديماً وحديثاً، كما دخل الكفار المحاربون مدائن الإسلام بغداد بمعاونة الشيعة كما جرى لهم في دولة الترك الكفار ببغداد وحلب وغيرهما، بل كما جرى بتغير المسلمين مع النصارى وغيرهم، فهم يظهرون التشيع لمن يدعونه، وإذا استجاب لهم نقلوه إلى الرفض والقدح في الصحابة، فإن رأوه قابلاً نقلوه إلى الطعن في علي وغيره، ثم نقلوه إلى القدح في نبينا وسائر الأنبياء، وقالوا: إن الأنبياء لهم بواطن وأسرار تخالف ما عليه أمتهم، وكانوا قوماً أذكياء فضلاء قالوا بأغراضهم الدنيوية، بما وضعوه من النواميس الشرعية، ثم قدحوا في المسيح ونسبوه إلى يوسف النجار،

وجعلوه ضعيف الرأي حيث تمكن عدوه منه حتى صلبه، فيوافقون اليهود في القدح في المسيح، لكن هم شر من اليهود، فإنهم يقدحون في الأنبياء، وأما موسى ومحمد فيعظمون أمرهما، لتمكنهما وقهر عدوهما، ويدعون أنهما أظهرا ما أظهرا من الكتاب لذب العامة، وأن لذلك أسراراً باطنة من عرفها صار من الكمل البالغين.

ويقولون: إن الله أحلَّ كل ما نشتهيه من الفواحش والمنكرات، وأخذ أموال الناس بكل طريق، ولم يجب علينا شيء مما يجب على العامة؛ من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك؛ إذ البالغ عندهم قد عرف أنه لا جنة ولا نار، ولا ثواب ولا عقاب.

وفي «إثبات واجب الوجود» المبدع للعالم على قولين لأئمتهم، تنكروه وتزعم أنَّ المشائين من الفلاسفة في نزاع إلا في واجب الوجود؛ ويستهينون بذكر الله واسمه حتى يكتب أحدهم اسم الله واسم رسوله في أسفله؛ وأمثال ذلك من كفرهم كثير. وذو الدعوة التي كانت مشهورة، والإسماعيلية الذين كانوا على هذا المذهب بقلاع الألموت وغيرها في بلاد خراسان؛ وبأرض اليمن وجبال الشام؛ وغير ذلك؛ كانوا على مذهب العبيديين المسؤول عنهم؛ وابن الصباح الذي كان رأس الإسماعيلية؛ وكان الغزالي يناظر أصحابه لما كان قدم إلى مصر في دولة المستنصر، وكان أطولهم مدة، وتلقى عنه أسرارهم.

فهؤلاء «القرامطة» هم في الباطن والحقيقة أكفر من اليهود والنصارى، وأما في الظاهر فيدعون الإسلام، بل وإيصال النسب إلى العترة النبوية، وعلم الباطن الذي لا يوجد عند الأنبياء والأولياء، وأن إمامهم معصوم. فهم في الظاهر من أعظم الناس دعوى بحقائق الإيمان، وفي الباطن من أكفر الناس بالرحمن بمنزلة من ادَّعى النبوة من الكذَّابين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وهؤلاء قد يدعون هذا وهذا.

فإن الذي يضاهي الرسول الصادق لا يخلو؛ إما أن يدَّعي مثل دعوته، فيقول: إن الله أرسلني وأنزل عليّ، وكذب على الله. أو يدّعي أنه يُوحى إليه ولا يُسمِّي موحيه، كما يقول: قيل لي، ونوديت، وخوطبت، ونحو ذلك، ويكون كاذباً، فيكون هذا قد حذف الفاعل. أو لا يدعى واحداً من الأمرين، لكنه يدعى أنه يمكنه أنه يأتي بما أتى به الرسول. ووجه القسمة أن ما يدعيه في مضاهاة الرسول: إما أن يضيفه إلى الله، أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد.

فهؤلاء في دعواهم مثل الرسول هم أكفر من اليهود والنصارى، فكيف بالقرامطة الذين يكذبون على الله أعظم مما فعل مسيلمة، وألحدوا في أسماء الله وآياته أعظم مما فعل

مسيلمة، وحاربوا الله ورسوله أعظم مما فعل مسيلمة. وبسط حالهم يطول، لكن هذه الأوراق لا تسع أكثر من هذا.

وهذا الذي ذكرته حال أئمتهم وقادتهم العالمين بحقيقة قولهم، ولا ريب أنه قد انضمَّ إليهم من الشيعة والرافضة من لا يكون في الباطل عالماً بحقيقة باطنهم، ولا موافقاً لهم على ذلك، فيكون من أتباع الزنادقة المرتدين، الموالي لهم، الناصر لهم بمنزلة أتباع الاتحادية الذين يوالونهم، ويعظمونهم، وينصرونهم، ولا يعرفون حقيقة قولهم في وحدة الوجود، وأن الخالق هو المخلوق. فمن كان مسلماً في الباطن وهو جاهل معظم لقول ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم من أهل الاتحاد فهو منهم، **وكذا من كان معظماً للقائلين بمذهب الحلول والاتحاد، فإن نسبة هؤلاء إلى الجهمية كنسبة أولئك إلى الرافضة والجهمية، ولكن القرامطة أكفر من الاتحادية بكثير؛ ولهذا كان أحسن حال عوامهم أن يكونوا رافضة جهمية. وأما الاتحادية ففي عوامّهم من ليس برافضيّ ولا جهميّ صريح؛ ولكن لا يفهم كلامهم، ويعتقد أن كلامهم كلام الأولياء المحققين. وبسط هذا الجواب له مواضع غير هذا. والله أعلم»**[1].

---

(١) «مجموعة الفتاوى»: (١٨/ ٨١ - ٨٨ - بتصرف يسير). وانظر أيضاً: «ترتيب المدارك للقاضي عياض»: (٤/ ٧٢٠)، و«الفَرق بين الفِرق للبغدادي»: (ص/ ٣٢٠)، و«قواعد عقائد آل محمد»: (ص/ ٢٢٠)،

والمكارمة الإسماعيلية تلاعبوا بالمِلّة المحمدية، فلا عجب أن يصفهم بعض أهل العلم بأنَّ «دُعاتهم زنادقة وعوامَّهم رافضة»!، ولا غرابة في ذلك وهم يُردِّدون في مجالسهم ومدارسهم أنَّ «محمد بن إسماعيل» هو خاتم رسل الله!!. **وقد سأل بعضُ طلاب العلم سماحة العلاّمة شيخنا عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ عن قول المكارمة: «إنَّ قبلة المسلمين مسمار في داخل الكعبة، وهو مكان مولد عليّ»!! فأجاب الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بأنَّ ذلك القول كذب وافتراء ولم يقل به أحد من المسلمين.**

وقد امتلأت مُصنفاتهم التي يطبعونها في الهند ومصر وإيران بالكفريَّات والشركيَّات، وقد وعدتُ في أوَّل الكتاب بذكر طائفة منها حتى يحذر منها طلاب العلم ومنشدوا الحقّ، فهاكم أسماءها:

- «إثبات النبوءات» لإسحاق أبي يعقوب السجستاني.
- «إثبات الإمامة» لأحمد بن إبراهيم النيسابوري.
- «أجزاء عن العقائد الإسماعيلية» جمع المستشرق كويار.
- «اختلاف أصول المذاهب» للقاضي النعمان.
- «أدعية الأيام السبعة» للمعز لدين الله.

= و«فضائح الباطنية للغزالي»: (ص/١١٨ ـ ١٢٠)، و«الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير»: (طالع الفهرس).

- «الأدلة والشواهد» لجعفر بن منصور اليمن، نسخة خطية.
- «أربع رسائل إسماعيلية» تحقيق عارف تامر.
- «أربعة كتب إسماعيلية» بتحقيق المستشرق الألماني شتروطمان.
- «الأرجوزة المختارة» للقاضي النعمان.
- «أساس التأويل» للقاضي النعمان.
- «الأسابيع» لقيس بن منصور.
- «أسبوع دور الستر» لأحمد حميد الدين الكرماني.
- «استتار الإمام» نشر ايوانوف.
- «الأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار» للداعي الإسماعيلي.
- «أسرار النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن.
- إسلام ميرى مورثون كا مذهب» (أردو) لآغاخان.
- «إسماعيل تعليمات» (أردو).
- «ديوان تميم بن المعز لدين الله» لمحمد أبي الفضل.
- «ديوان المؤيد في الدين الشيرازي» لمحمد كامل حسين.
- «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد.
- «ذكر إلهي» لنصري الدين.
- «راحة العقل» للكرماني.
- «رسائل إخوان الصفا» لإخوان الصفا.

- «رسالة الاسم الأعظم» لداع إسماعيل.
- «رسالة امامت» (فارسي) للطوسي.
- «رسالة در حقيقت دين» (فارسي) لشهاب الدين.
- «الرسالة في الإمامة» لأبي الفوارس أحمد بن يعقوب.
- «الرسالة الصورية» لمحمد بن علي الصوري.
- «الرسالة الكافية» لمحمد بن سعد.
- «الرسالة المذهبة» للقاضي النعمان.
- «الرسالة الواعظة» للكرماني.
- «الرسائل الإسماعيلية المختصرة» جمع شرتوطمان.
- «الرشد والهداية» لابن حوشب منصور اليمن.
- «الروضة البهية في سلاطين الفاطمية» لذاكر حسين جعفر.
- «زاد المسافرين» (فارسي) ناصر خسرو.
- «زهر بذر الحقائق» لحاتم الحامدي.
- «زهرْ المعاني» لإدريس عماد الدين.
- «السجلات المستنصرية» توقيعات وسجلات المستنصر بالله.
- «سرائر النطقاء» لجعفر بن منصور اليمن.
- «سفرنامه ناصرى خسرو» لناصري خسور.
- «سلمان باك» فارسي.
- «سمط الحقائق» لعلي بن حنظلة.

- «سى وشش صحيفة» (فارسي) لسهراب ولي.
- «سيرة الأستاذ جوذر» لأبي علي منصور العزيزي الجوذري.
- «سيرة جعفر الحاجب» نشر ايوانوف.
- «السيرة المستقيمة» للدرزية.
- «السيرة المؤيدية» لهبة الله الشيرازي.
-«سيف بردين» لحاجي عمر.
-«شجرة اليقين» لعبدان.
-«شرح الأخبار» للنعمان القاضي. نسخة خطية.
-«شرح العقيدة الشافية» لداع مجهول.
-«الشعاع الشائع» لحميد بن محمد.
-«الشموس الزاهرة» لحاتم بن إبراهيم.
-«الشواهد والبيان» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
-«الصليحيون والحركة الفاطمية» للهمذاني.
-«عالم إسلام» (أردو) لآغاخان.
-«عبقرية الفاطميين» لمحمد حسين الأعظمي.
-«العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك» لعلي بن الحسن الخزرجي.
-«عيون الأخبار وفنون الآثار» لإدريس عماد الدين.
-«عيون المعارف» لشرف علي.
-«غاية المواليد الثلاثة» لعلي بن الوليد.

ـ«الفرائض وحدود الدين» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
ـ«فلسفة دعا» إسماعيلية أيسوسي إيشن.
ـ«الفلك الدوار» لعبدالله بن المرتضى.
ـ«في نسب الخلفاء الفاطميين» بتقديم حسين بن فريض الله.
ـ«القرامطة بين المد والجزر» لمصطفى غالب.
ـ«القصيدة التائية» لداع إسماعيل.
ـ«قصيدة الدوحة» للمؤيد الشيرازي.
ـ«القصيدة الشافية» لداع مجهول.
ـ«القصيدة الصورية» لمحمد بن علي الصورى.
ـ«الكافية» لمحمد بن سعد بن داود.
ـ«كتاب الافتخار» للسجستاني.
ـ«كتاب الاقتصار» للقاضي النعمان.
ـ«كتاب الأزهار» لحسن بن نوح الهندي.
ـ«كتاب الإيضاح» لشهاب الدين.
ـ«كتاب التراتيب» لداعي مجهول.
ـ«كتاب الرضاع» لجعفر بن منصور اليمن مخطوط.
ـ«كتاب الرياض» للكرماني.
ـ«كتاب الزينة» لأبي حاتم الرازي.
ـ«كشائش ورهائش» (فارسي).

-«كتاب الكشاف» لجعفر بن منصور اليمن.
-«كتاب الشيخ إبراهيم» لداعي مجهول.
-«كتاب الفترات والقرانات» لجعفر بن منصور اليمن. مخطوط.
-«كتاب النصرة» للسجستاني.
-«كتاب الينابيع» للسجستاني.
-«كلشن راز» لمحمود شبستري.
-«كنز الولد» لإبراهيم الحامدي.
-«مباسم البشارات» حمد حميد الدين الكرماني.
-«المبدأ والمعاد» للحسين بن علي بن الوليد.
-«مجالس حاتم الحامدي» لحاتم بن إبراهيم الحامدي.
-«المجالس المستنصرية» لداعي ثقة الإسلام.
-«المجالس والمسايرات» للقاضي النعمان بن محمد المغربي.
-«المجالس المؤيدية» لهبة الله الشيرازي.
-«مذكرات آغا خان» لآغا خان.
-«مذكرات داعي الدعاة» لهبة الله الشيرازي.
-«مذهب الدروز والتوحيد» للأستاذ عبدالله النجار.
-«مزاج التسنيم» لضياء الدين الإسماعيلي.
-«مسائل مجموعة من الحقائق العالية» لداع مجهول
-«مشارق أنوار اليقين» لرجب البرسي.

ـ«المصابيح في إثبات الإمامة» للكرماني.

ـ«مصحف الدروز».

ـ«مطالع الشموس في معرفة النفوس» لشهاب الدين.

ـ«مقال آصف فيضي في المجلة البريطانية الآسيوية الملكية».

ـ«المنتخب» لايوانوف.

ـ«موسم بهار» (كجراتي) لميان محمد علي.

ـ«النقط والدوار» مخطوط.

ـ«نهر النور الشعشعاني لأبي محمد طاهر سيف الدين.

ـ«نور مبين» لا ي ج جنارا.

ـ«الهادي الدائم» (أردو) لقاسم علي محمد جعفر.

ـ«الهداية الآمرية» تحقيق آصف علي فيضي.

ـ«هفت أبواب» لحاجي قدرت الله.

ـ«هفت باب أبوإسحاق» (فارسي) لأبي إسحاق.

ـ«الهفت والاظلة» للعضل الجعفي.

ـ«همارب إسماعيلي مذاهب» للدكتور زاهد علي.

ـ«الهمة في آداب اتباع الأئمة» للقاضي النعمان[1].



---

(١) «الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير»: (ص/٧٣٩ ـ ٧٤٥).

ويجب أن يفهم المتبِّع لمذهب أهل السنة والجماعة أنَّ المكارمة الإسماعيلية لهم مصنَّفات سريَّة وأخرى علنيَّة، فالمصنَّفات السريَّة كانت إلى وقت قريب من الأمور المحظورة والخفايا الخطيرة، ولا يمكن الاطلاع عليها حتى من أتباع الطائفة المكرمية، أما المصنَّفات العلنيَّة فكثير منها متداول ومنشور بين أتباع الطائفة وغيرهم.

ولا يخفى على المتأمِّل أنَّ القوم وقعوا في حبائل أبالسة الإنس من دُعاتهم وأئمتهم بسبب عقيدتين كانتا شعلة أحرقت الاعتقاد الذي فُطروا عليه. الأُولى: ولاية الفقيه، والثانية: التقيَّة.

والمراد بولاية الفقيه: الطاعة العمياء من أتباع المذهب الإسماعيلي لأئمتهم ودُعاتهم، أو قل هي - والعياذ بالله - عبوديَّة الإنسان للإنسان بلا شروط!!: «﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

قيل لحذيفة بن اليمان - رضي الله عنه -: أرأيت قول الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؟ قال: «أما إنَّهم لم يكونوا يصومون ولا يصلّون لهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلَّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً أحلَّه الله

لهم حرَّموه، فكانت تلك ربوبيتهم»[1].

والمراد بالتقيَّة: الكِتمان للاعتقاد خشية الضَّرر من المخالفين، وهم أهل السُّنَّة، أو هي: إظهار خِلاف ما في الباطن، وهي عندهم تسعةُ أعشار الدِّين، ولا دين لِمَن لا تقيَّة له، كما يروون عن جعفر بن محمد ـ وهو مِنهُ براء ـ!. ومن الأصول عندهم ملازمة التقيَّة في كل ديار المسلمين حتى إنهم يُسمُّون دار الإسلام «دار التقية»!، وجاء في رواياتهم: «.. والتقيَّة في دار التقيَّة واجبة»[2].

وقد أسهب العلماء الصالحون في الحديث عن الإسماعيلية وبيان خطرها والحكم بتكفيرهم تكفيراً مُطلقاً، ومن أولئك العلماء: «ابن تيميَّة» و«ابن القيم» و«ابن كثير» و«الغزالي» و«الذهبي» و«ابن حجر العسقلاني» و«الشوكاني» و«ابن الوزير» و«محمد بن عبدالوهاب» ـ رحمة الله عليهم جميعاً ـ وغيرهم من أعلام الإسلام والمسلمين.

ويجب أن تعلم ـ رحمك الله ـ أنَّ أهل السُّنَّة يُفرِّقون بين التكفير المطلق والتكفير المعيَّن، ففي الأول يُطلق القول

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري»: (١٤٨/٤٠).

(٢) انظر: «النهاية لابن الأثير»: (١٩٣/١)، و«مجموعة الرسائل المنيرية»: (٢٤٨/١)، و«أصول الكافي»: (٢١٧/٢)، و«بحار الأنوار»: (٤١١/٧٥، ٤٢٣).

بتكفير صاحبه ـ الذي تلبَّس بالكفر ـ فيُقال: مَن قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر، ولكن الشخص المعيَّن الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره، إطلاقاً حتى تجتمع فيه لشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذٍ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى: «وليس لأحدٍ أن يكفِّر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط، حتى تُقام عليه الحُجَّة، وتُبيَّن له المَحَجَّة، ومَن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك: ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة»[1].

● **ويجب أن تعلم أنَّ موانع التكفير عند السلف كثيرة، من أشهرها:**

(١) **الجهل**: وهو عدم العلم عمَّا من شأنه العلم. ومن الخطأ الشائع إطلاق القول بأنَّ الجهل عذر في أصل الدين. يقول «أحمد بن إدريس القرافي» (٦٨٤هـ) ـ رحمه الله تعالى ـ: «القاعدة الشرعية دلَّت على أن كل جهل يمكن المكلَّف دفعه، لا يكون حُجَّة للجاهل، فإنَّ الله تعالى بعث رسله إلى خلقه برسائله، وأوجب عليهم كافةً أن يعلموها، ثم يعملوا بها، فالعلم والعمل بها واجبان، فمن ترك التعلم

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٢/٤٦٦).

والعمل، وبقي جاهلاً، فقد عصى معصيتين لتركه واجبين»[1].

ويقول الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ: «كل مَن لم يعرف الله بكلامه أنَّه غير مخلوق، فإنَّه يُعلِّم ويُرَدُّ جهله إلى الكتاب والسُّنَّة، فمن أبىٰ بعد العلم به، كان معانِداً، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]»[2].

وجاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلميّة والإفتاء: «يختلف الحكم على الإنسان بأنه يُعْذَر بالجهل في المسائل الدينيَّة أو لا يُعْذَر، باختلاف البلاغ وعدمه، وباختلاف المسألة نفسها وضوحاً وخفاءً، وتفاوت مدارك الناس قوة وضعفاً»[3].

(٢) الخطأ: أن يقصد بفعله شيئاً فيصادف فعله غير ما قصده، وقد استدلَّ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في العذر بالخطأ بالحديث المشهور في قصة الرجل من بني إسرائيل، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «كان رجل يسرف على نفسه، فلمَّا حضره الموت قال

---

(١) «الفروق»: (٤/ ٢٦٤).
(٢) «خلق أفعال العباد»: (ص/ ٦١).
(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء»: (٢/ ٩٧).

لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذّبني عذاباً ما عذَّبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له». أخرجه البخاري.

ثم علّق عليه قائلاً: (فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك، أو شكَّ، وأنّه لا يبعثه، وكل هذين الاعتقادين كفر، يكفر من قامت عليه الحجة، لكنّه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يردّه عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه، فغفر الله له بخشيته، فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل فيغفر الله خطأه، أو يعذّبه إن كان منه تفريط في اتّباع الحق على قدر دينه، وأمّا تكفير شخص عُلم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم..)[1].

فهذا الحديث كثيراً ما يستدل به شيخ الإسلام في مسائل العذر بالجهل والخطأ، والتأويل.

فهذا الرجل وقع في الخطأ ـ فتكلم بالكفر من غير قصد ـ بسبب جهله، فعذره الله سبحانه لعدم قيام الحجة عليه، أما

---

(١) «الاستقامة»: (١/ ٦٤ ـ وما بعدها).

الاستدلال به على مسألة العذر بالتأويل فمن باب أولى، لأن المتأول في حقيقته مجتهد مخطئ، فإذا لم يكفر المخطئ من غير اجتهاد ـ كما في هذه القصة ـ فعدم كفر من اجتهد في طلب الحق فأخطأ من باب أولى، وفي هذا المعنى يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: (.. قد تكاثرت الآيات والأحاديث في العفو عن الخطأ، والظاهر أن أهل التأويل أخطأوا، ولا سبيل إلى العلم بتعمدّهم) ثم ذكر بعض أدلة الإعذار بالخطأ ومنها قصة الرجل من بني إسرائيل، ثمّ علّق عليها قائلاً: (وإنما أدركته الرحمة لجهله وإيمانه بالله والمعاد ولذلك خاف العقاب.. وهذا أرجى حديث لأهل الخطأ في التأويل[1].

(٣) الإكـراه: وهو الإلجاء إلى فعل الشيء قهراً.

ليس كل من ادّعى الإكراه يُقبل منه، بل لابُدَّ من شروط يجب توافرها ليكون الإكراه معتبراً ومؤثِّراً فيما يُقْدِم عليه المكلَّف. وشروط الإكراه هي:

١ ـ أن يكون المكرِه قادراً على تحقيق ما أوعد به، لأنَّ الإكراه لا يتحقق إلا بالقدرة.

٢ ـ أن يكون المكره عاجزاً عن الدفع عن نفسه.

٣ ـ أن يغلب على ظنه وقوع الوعيد، إن لم يفعل ما طُلِبَ منه.

---

(١) «إيثار الحقّ»: (ص/٤٣٥ ـ وما بعدها)، و«نواقض الإيمان الاعتقادية»: (٣٠٦/١).

والأصل في الإكراه قول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

قال ابن بطال: «أجمعوا على أنَّ مَن أُكرِه على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان؛ أنَّه لا يُحكم عليه بالكفر ولا تبين منه زوجته»[١].

(٤) **التأويل**: وله معاني عديدة، والمعنى المراد هنا: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك[٢].

وقد أشار ابن حزم إلى بعض حدود التأويل الذي يُعذر صاحبه والذي لا يعذر، فقال: «ومن بلغه الأمر عن رسول الله ﷺ من طريق ثابتة، وهو مسلم، فتأوّل في خلافه إيّاه، أو ردّ ما بلغه بنصّ آخر، فما لم تقم عليه الحجة في خطئه في ترك ما ترك، وفي الأخذ بما أخذ، فهو مأجور معذور، لقصده إلى الحق، وجهله به، وإن قامت عليه الحجة في ذلك، فعاند فلا تأويل بعد قيام الحجة».

---

(١) «الإكراه في الشريعة الإسلامية»: (٣٠ ـ ٣٤)، و«فتح الباري»: (١٢/ ٣١٤).

(٢) «الصواعق المرسلة»: (١/ ١٧٥ ـ وما بعدها).

وهناك مسائل وأصول لا خلاف في عذر المتأوِّل فيها ممن لم تقم عليه الحجة، كالتأويل في استحلال المحرمات الظاهرة المتواترة، وجحد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وبعض تأويلات المعتزلة والمرجئة والجهمية، ونحوهم ممن يستندون ببعض الشُّبه النصيَّة.

أما التأويلات التي لا يعذر أصحابها، فتأويلات الباطنية والفلاسفة ونحوهم ممّن حقيقة أمرهم تكذيب للدين جملة وتفصيلاً، أو تكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد وقولهم إن الله سبحانه لا يعلم الجزئيات، أو تأويل الفرائض والأحكام بما يخرجها عن حقيقتها وظاهرها، أو الاعتقادج بألوهية بعض البشر كتأليه علي أو الحاكم بأمره كما عند النصيرية والدروز، أو القول بتحريف القرآن، أو تأويل جميع الأسماء والصفات أو القول بسقوط التكاليف عن البعض ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد على أي مستند نصيّ أو لغوي ولو من وجه محتمل[1].

يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وكذلك لا خلاف في كفر من جَحَد ذلك المعلوم ضرورة للجميع، وتستر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء

---

(١) «نواقض الإيمان الاعتقادية»: (٢/ ٢٩).

الحسنى بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار، وإنما يقع الإشكال في تكفير مَن قام بأركان الإسلام الخمسة المنصوص على إسلام مَن قام بها إذا خالف المعلوم ضرورة للبعض أو للأكثر لا المعلوم له، وتأول وعلمنا من قرائن أحواله أنه ما قصد التكذيب أو التبس ذلك علينا في حقه وأظهر التدين والتصديق بجميع الأنبياء والكتب الربانية مع الخطأ الفاحش في الاعتقاد، ومضادة الأدلة الجليّة، ولكن لم يبلغ مرتبة الزنادقة المقدمة...»[1].

ويقول أيضاً: «... أمّا من كذّب اللفظ المنزل أو جحده، كفر متى كان ممّن يُعلم بالضرورة أنه يعلمه بالضرورة، وإنما الكلام في طوائف الإسلام الذين وافقوا على الإيمان بالتنزيل، وخالفوا في التأويل فهؤلاء لا يكفر منهم إلا من تأويله تكذيب، ولكن سمّاه تأويلاً مخادعة للمسلمين ومكيدة للدين كالقرامطة الذين أنكروا وصف الله تعالى بكونه موجوداً وعالماً وقادراً ونحو ذلك من الصفات التي علم الكافة بالضرورة أن النبي ﷺ جاء بها على ظاهرها...»[2]، وقال الملاّ القاري الحنفي: «... وأما مَن يؤول النصوص الواردة

---

(١) «إيثار الحق»: (ص/ ٤١٥).

(٢) «العواصم والقواصم»: (٤/ ١٧٦).

في حشر الأجساد، وحدوث العالم، وعلم الباري بالجزئيات فإنهه يكفر لما علم قطعاً من الدين أنها على ظواهرها بخلاف ما ورد في عدم خلود أهل الكبائر في النار لتعارض الأدلة في حقهم...»[1]، وذكر الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمثلة كثيرة لبعض الطوائف الغالية المنسوبة إلى الإسلام، وبعض ضلالاتها فقال: «وقد تسمّى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنّه ليس مسلماً، مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة، وركعة بالعشيّ فقط...، وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن، وطوائف كانوا من المعتزلة ثمّ غلوا فقالوا بتناسخ الأرواح، وآخرون قالوا: إن النبوة تكتسب بالعمل الصالح، وآخرون.. قالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء، وأن مَن عرف الله حقَّ معرفته فقط سقطت عنهم الأعمال والشرائع وقال بعضهم بحلول الباري تعالى في أجسام خلقه كالحلاج وغيره...»[2].

(٥) **التقليد**: وهو اتِّباع قول مَن ليس قوله حُجَّة والسؤال الذي يرد في هذا الباب: ما حكم مَن وقع في الكفر تقليداً، هل يعذر بذلك؟

---

(١) «شرح الفقه الأكبر»: (ص/٦٩).

(٢) «الفِصل»: (٢/١١٤).

الذي يظهر من كلام الأئمة أنَّ العذر بالتقليد من جنس العذر بالتأوّل والجهل، باعتبار المقلِّد جاهلاً لا يفهم الدليل أو الحجة، فإذا عُذر مَن وقع في الكفر متأوّلاً رغم علمه واجتهاده، فعذر مَن يقلّده من العوامّ الجهّال من باب أولى، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **بعدما تكلّم عن كفر وضلال أهل الحلول والاتحاد من غُلاة المتصوفة كابن سبعين وابن عربي وابن الفارض وأمثالهم:** «. . . فكل مَن كان أخبر بباطن هذا المذهب، ووافقهم عليه، كان أظهر كفراً، وإلحاداً، وأمّا الجُهّال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من النّاس، فهؤلاء تجد فيهم إسلاماً وإيماناً، ومتابعة للكتاب والسُّنَّة بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظنّ بهم، وتسليماً لهم بحسب جهلهم وضلالهم، **ولا يتصوّر أن يثني على هؤلاء إلا كافر ملحد، أو جاهل ضالّ. . .**»[1].

فنلاحظ من كلام شيخ الإسلام إعذاره للجُهّال الذين يحسنون الظن بكلام هؤلاء الغُلاة ولا يفهمونه حيث قال: إنَّ فيهم إسلاماً وإيماناً ومتابعة للكتاب والسُّنَّة رغم ضلالهم وجهلهم، وفي موضع آخر يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى موقف الإمام

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢/ ٣٦٧).

أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ولاة الأمر الذين قالوا بقول الجهمية، وامتحنوا وعاقبوا من خالفهم، «ومع هذا فالإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ ترحَّم عليهم واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يبين لهم أنهم مكذّبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأوّلوا فأخطأوا، وقلَّدوا مَن قال لهم ذلك...»[1]، فالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عذر هؤلاء لأنّهم مقلدون لمن يظنّونهم من أهل العلم، وقد استدلَّ شيخ الإسلام بهذا الموقف من إمام أهل السنة من بعض أتباع الجهميَّة على العذر بالتأويل والجهل ـ كما سبق ـ مما قد يدل على أن العذر بالتقليد عنده من جنس العذر بالجهل والخطأ والله أعلم.

وفي موضع ثالث يشير إلى عذر بعض مَن يقلِّد الشيوخ والعلماء فيما هو من جنس الشرك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلام حول هذا الموضوع: «... وإن كانت من جنس الشرك، فهذا الجنس ليس فيه شيء مأمور به، لكن قد يحسب بعض الناس في بعض أنواعه أنّه مأمور به، وهذا لا يكون مجتهداً، لأن المجتهد لابدّ أن يتبع دليلاً شرعيًّا، وهذه لا يكون عليها دليل شرعي، لكن قد يفعلها باجتهاد مثله، وهو تقليده لمن فعل ذلك من الشيوخ والعلماء، والذين فعلوا ذلك قد فعلوه لأنّهم رأوه ينفع، أو لحديث كذب سمعوه، فهؤلاء إذا لم تقم عليهم

---

(١) المصدر السابق»: (٢٣/٣٤٩).

الحجة بالنهي لا يعذّبون. . .»[1].

وقال أيضاً: (وأمّا المنتسبون إلى الشيخ يونس، فكثير منهم كافر بالله ورسوله، لا يقرّون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحجّ البيت العتيق، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، بل لهم من الكلام في سبّ الله ورسوله والقرآن والإسلام ما يعرفه من عرفهم. أمّا مَن كان فيهم من عامتهم لا يعرف أسرارهم وحقائقهم، فهذا يكون معه إسلام عامّة المسلمين الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم. . .)[2].

ويفصّل الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ اللهُ في بيان أقسام أهل البدع **فيقول:** «. . . وأمّا أهل البدع الموافقون أهل الإسلام، ولكنّهم مخالفون في بعض الأصول كالرافضة والقدريّة والجهميّة وغُلاة المرجئة ونحوهم، فهؤلاء أقسام: **أحدها: الجاهل المقلّد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يُفسَّق، ولا تُردّ شهادته** إذا لم يكن قادراً على تعلّم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله غفوراً رحيماً.

القسم الثاني: المتمكّن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة

---

(١) المصدر السابق»: (٢٠/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورئاسته ولذّته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرّط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السُّنَّة والهدى ردّت شهادته، وإن غلب ما فيه من السُّنَّة والهدى قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب ويتبيّن له الهدى، ويتركه تقليداً أو تعصباً، أو بُغضاً ومعاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً، وتكفيره محلّ اجتهاد وتفصيل...»[1].

ومما سبق يتبين لنا إعذار الأئمة لمَن وقع في الكفر تقليداً إن كان جاهلاً لا بصيرة له ولا فِقه، أمَّا إن كان قادراً على فهم الحجة وفرّط في طلبها فإنه يأثم، ولكنّه لا يكفر إلاَّ بعد قيام الحجة.

* * *

وبهذه الأسطر نصل إلى خاتمة هذا الكتاب، والله نسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه وسامعه إنه أكرم مأمول، وأعظم مسؤول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) «الطرق الحكمية»: (ص/ ١٧٤ ـ ١٧٥). وانظر أيضاً: «نواقض الإيمان القولية والعملية»: (ص/ ٥٢ ـ ٧٣)، و«نواقض الإيمان الاعتقادية»: (١/ ٢٢٥ ـ ٣٠٩، ٢/ ٥ ـ ٤٩)، و«ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة»: (طالع الفهرس).

● صـدر للمؤلِّـف:

- «نقض افتراءات المؤرِّخين والنُّقاد حول شخصية حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ».
[دراسة وتحقيق لتهمة الجبن التي أُلصقت بحسان بن ثابت وإثبات بطلانها].
- «حقيقة معتقد ابن سينا، وموقفه من أنواع التوحيد الثلاثة».
- «التحقيقات الشرعية في بيان أنَّ عقيدة أبي تمام سُنيَّة».
- «دهاقنة اليمن».

● يصدر قريباً ـ إنْ شاء اللهُ تعالى ـ:

- «عثرات الجاحظ».
- «القواعد التأصيلية».
- «ضوابط المطالعة».
- «الكُنَّاش الأحمدي».

* * *

تم بحمد الله